



الإصدار الأول

www.abdullahelwan.net

فهرس

الصفحة	الموضوع
٤	<u>لماذا خلق الشباب وما مهمتهم</u>
٦	<u>العصبة المؤمنة كانوا شباباً</u>
٩	<u>شعار " الله غايتنا "</u>
١٢	<u>شعار "الرسول قوتنا"</u>
	١- قدوة العبادة
	٢- قدوة الزهد
	٣- قدوة التواضع
	٤- قدوة العفو والحلم
	٥- قدوة القوة الجسدية
	٦- قدوة الشجاعة
	٧- قدوة حسن السياسة في تصريف الأمور
	٨- قدوة الثبات على المبدأ
	٩- قدوة فصاحة اللسان وأدب الحديث
٢٧	<u>شعار "القرآن دستورنا"</u>
٢٨	<u>خصائص الشريعة ومزاياها</u>
	١- الربانية
	٢- العالمية
	٣- الشمول
	٤- العطاء والتجدد
	٥- العدل المطلق
٣٤	<u>ما يؤكد صلاحية الشريعة</u>
	أ- شهادة الواقع
	ب- شهادة المؤتمرات الدولية
	ج- شهادة المنصفين في العالم
٤١	<u>عبارة المسلمين المشهورين في التاريخ</u>
	<u>شعار "الجهاد سبيلنا"</u>
	أقسام الجهاد
	١- الجهاد المالي
	٢- الجهاد التبليغي
	٣- الجهاد التعليمي
	٤- الجهاد السياسي
	٥- الجهاد القتالي
٦٠	<u>التفرعات عن الجهاد القتالي</u>
	١- قتال من يعلن مبادئ الكفر في دار الإسلام
	٢- قتال من يقف في طريق الدعوة في دار الحرب
٦٦	<u>شعار "الموت في سبيل الله أسمى أمانينا"</u>
٦٨	<u>نماذج من بطولات السلف</u>

٧٣	<u>وأخيراً الشخصية يا شباب !!</u> ١- التميز في العقيدة ٢- التميز في العبادة أ- التميز في الشكل ب- التميز في التطبيق ٣- التميز في الأخلاق ٤- التميز في المظهر
٨١	<u>من مظاهر الاعتناء بالمظهر</u>
٨٣	<u>لماذا حرم الإسلام التقليد الأعمى</u>
٨٦	<u>أهداف مخططات أعداء الإسلام</u>
٩٠	<u>الرد على شبهة يحتج بها المتخفسون المسلمون</u>
٩٢	<u>الرد على شبهة أخرى</u>
٩٣	<u>ما يجوز أن نستفيد من الأجنبي</u>
٩٥	<u>نداء إلى الشباب</u>

بسم الله الرحمن الرحيم

يا شباب الإسلام :

أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد إمام المصلحين ، وسيد
المجاهدين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد .

* * *

أفقدون - يا شباب - لماذا خلقتكم وما مهمتكم ؟

- خلقتكم لتحقيق غاية العبودية لله والالتقياد له ، والتسليم لجنابه فيما ينوب ويروع . . . ﴿ وما
خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

- وخلقتم لالتزام المنهج الرباني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد ﴿ ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ [آل عمران :
٨٥] .

- وخلقتم لتعطوا الولاء والطاعة لله ولرسوله وللمؤمنين : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا
الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم
الغالبون ﴾ [المائدة : ٥٥ ، ٥٦] .

أما مهمتكم الكبرى التي كلفكم الله بها وخلقكم من أجلها فهي إقامة حكم الله في الأرض ،
 وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الكفر إلى عدل
الإسلام . . .

ثم أتدرون - يا شباب - بماذا تتحقق هذه المهمة ؟

تتحقق بخمس صفات أساسية تتحلون بها وتعدون الهمة لترسيخها وتعميقها :

١ - بالإيمان الراسخ الذي لا يتزعزع ولا يلين ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ [الحجرات : ١٥] .

٢ - بالإخلاص الصادق الذي لا يعرف المصانعة ولا المراعاة ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ [البينة: ٥] .

٣ - بالعزيمة المتينة التي لا تعرف الخوف ولا الوجل ﴿ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله ﴾ [الأحزاب: ٣٩] .

٤ - بالعمل الدائب الذي لا يعرف الخور ولا الكلال ﴿ وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ [التوبة: ١٠٥] .

٥ - بالتضحية الغالية التي لا تعرف سوى النصر أو الشهادة ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾ [البقرة: ٢١٤] .

وفي الحقيقة هذه الصفات الخمسة هي من خصائص الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ومن مزايا الشباب الذين لا يخافون في الله لومة لائم . . . لأن أساس الإيمان القلب الذكي ، وأساس الإخلاص الفؤاد النقي ، وأساس العزيمة الشعور القوي ، وأساس العمل الإرادة الفتية ، وأساس التضحية العقيدة الراسخة . . . وهذه الصفات كلها لا تجتمع أشد ما تجتمع إلا في الشباب ، ولا تختص إلا بالفتية المؤمنين . . .

ومن هنا كان الشباب المؤمن قديماً وحديثاً في كل مرحلة من مراحل التاريخ عماد نهضة الأمة الإسلامية ، وسر قوتها ، ومبعث عزتها وكرامتها ، وحامل لوائها ورايتها ، وقائد جحافلها إلى المجد والنصر . . .

﴿ إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ﴾ [الكهف: ٣١] .

وعليكم أن تعرفوا - يا شباب - (أن العصابة المؤمنة التي تركزت في دار الأرقم وعلى يديها تحقق نصر الإسلام كانوا شبابًا ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان عمره أربعين سنة عند البعثة ، وأبو بكر رضي الله عنه كان أصغر منه بثلاث سنين ، وعمر رضي الله عنه كان عمره سبعاً وعشرين سنة ، وعثمان رضي الله عنه كان أصغر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلي رضي الله عنه كان أصغر من الجميع . . . وهكذا كان عبد الله بن مسعود ، وعبد الرحمن بن عوف ، والأرقم بن أبي الأرقم ، وسعيد بن زيد ، ومصعب بن عمير ، وبلال بن رباح ، وعمار بن ياسر ، وعشرات غيرهم ، بل مئات . . . كلهم كانوا شبابًا ^(١) .

هؤلاء الشباب هم الذين حملوا على كواهلهم أعباء الدعوة ، وهم الذين استعذبوا في سبيلها أسمى آيات الصبر والعذاب والتضحية . . . وهم الذين واصلوا ليلاً بنهارهم حتى حققوا لهذا الإسلام انتشاره وكيانه ، ولهذا الدين انتصاره وتمكينه . . . فما بين عشية وضحاها قامت للمسلمين دولة وسلطان ، وتأسست لهم حكومة وقيادة . . . وأخضعوا لحكمهم المملكتين العظيمين : فارس والروم ، وامتد ظلهم إلى بلاد الهند شرقاً ، وإلى بلاد الخزر وأرمينية وبلاد الروس شمالاً ، ودخلت في عدلهم بلاد الشام ومصر وبرقة وطرابلس وبقية أفريقيا . . . وذلك كله في خمس وثلاثين سنة ، وفي عهد بني أمية استبحر ملكهم وامتد سلطانهم إلى أن دخلوا بلاد الهند ، ومعظم بلاد الهند ، وبلاد التركمان ، ووصلوا إلى حدود الصين شرقاً ، ودخلوا بلاد الأندلس بأوروبا غرباً ، وقد استطاع أحد الخلفاء (هارون الرشيد) أن يصور للعالم بسطة العالم الإسلامي ، فلم يجد غير أن يخاطب السحابة التي تمر به ولا تمطره فيقول لها : (أمطري حيث شئت فإن خراجك سيحمل إلينا) .

(١) من كتاب " السيرة النبوية " للمرحوم الدكتور مصطفى السباعي ص ٨٢ .

هذا عقبة بن نافع الذي وقف في آخر الغرب على شاطئ المحيط الأطلسي (بحر الظلمات) ،
وقال وقد خاض بجواده الماء : (اللهم ربّ محمد لولا هذا البحر لفتح الدنيا في سبيل إعلاء
كلمتك ... اللهم فاشهد !! ...) .

وهذا قتيبة الباهلي الذي توغل في آخر الشرق ، وأبى إلا أن يدخل بلاد الصين فقال له أحد
أصحابه محذراً مشفقاً : " لقد أوغلت في بلاد الترك يا قتيبة ، والحوادث بين أجنحة الدهر تقبل
وتدبر .. " فأجابته بالإيمان قد بلغ منه كل مبلغ : " بثقتي بنصر الله توغلت ، وإذا انقضت المدة لم تنفع
العدة ..) ، فلما رأى ذلك الحذر عزمه وتصميمه على المضي لإعلاء كلمة الله ، قال له : " اسلك
سبيلك حيث شئت يا قتيبة ، فهذا عزم لا يفله إلا الله !! .. " .

ورحم الله شاعر الإسلام محمد إقبال إذ يقول :

بمعابد الإفريج كان أذاننا	قبل الكئاب يفتح الأمصارا
لم تنس أفريقيا ولا صحراؤها	سجداتنا والأرض تقذف نارا
كنا نقدم للسيوف صدورنا	لم نخش يوماً غاشماً جباراً
وكان ظلّ السيف ظلّ حديقة	خضراء تنبت حولها الأزهارا

تعالوا معي - يا شباب - لنسأل ديار الشام ، وسواد العراق ، ورياض الأندلس ، ووادي مصر ،
وفيا في الجزيرة ، وبطاح إفريقية ، وربوع العجم ، وبلاد الهند ، وأرجاء الصين ، ومعالم الدنيا ... عن
أخبار أولئك الجذود البواسل الأجماد الذين تربوا على الإيمان والإسلام ، وتخرجوا في مساجد المدينة
ومكة والأقصى وقرطبة والأزهر والأموي ... ، فإن عندهم جميعاً خبراً أكيداً من مفاخرهم وأجمادهم
، وعلومهم وحضارتهم ، وقيمهم ومبادئهم وبطولاتهم وتضحياتهم .. فهم الذين هذبوا النفوس ، وهدوا
القلوب ، ونشروا العلم ، وفرضوا المعرفة ، وكرموا الإنسان ، وطمسوا معالم الوثنية ، وأشعوا على العالمين
نور الحق والهداية والعرفان ، وأنبتوا الأرض خيراً وعسلاً ولبناً ، وطبعوا في ضمير الزمان مبادئ التوحيد
والعدل والإخاء والمساواة ..

(هل عرفت الدنيا أنبل منهم وأكرم ، أو أرفأ أو أرحم ، أو أجل أو أعظم أو أرقبي أو أعلم)

؟

أعلنوا الحرية يوم كانت الأمم ترسف في قيود العبودية ، ونشروا التوحيد يوم كانت العقول مصفدة بأغلال الجاهلية ، وأقاموا العدل يوم كانت فارس والروم تُسخران الشعوب لمطامعها الحربية . .

بذلوا المال في المكارم حين كان يجمعه غيرهم من المظالم ، وصانوا الأعراس والحرمات حين كان غيرهم يبيع الأمهات والأخوات . . .

جباههم تخضع لله وتعلو عن سواه ، وقلوبهم تهوى الجمال وتنفر من كل قبيح ، وعقولهم تؤمن بالحق ، وترفض كل باطل ، وأيديهم : يد مع الله ، وأخرى مع الناس . .

آمنوا بالدين ليرفعوا به الدنيا ، وعملوا للدنيا ليجدوا بها الدين ، وجمعوا بين الدين والدنيا ليكونوا في الحياة أعزاء ، وفي الآخرة من الفائزين . . .

حكموا الدنيا فملؤها أمناً وسلاماً ، وعصفت بهم النكبات فاستقبلوها صبراً وابتساماً ، ومن اعتدى عليهم جعلوا الأرض فوقه أطلالاً وركاماً . .

دماء الشهداء عندهم عطر الشباب والرجال ، وسهام الأعداء في صدورهم أوسمة العزة والكمال ، وخوض المنايا في سبيل دينهم أغنية النساء والأطفال . .

لمواكب الشهداء عندهم أفراح وأعراس ، ولصليل السيوف في آذانهم ألحان وأنغام ، وللمعارك الحمر تربيتهم أمهاتهم في الأسرة والمهود . .^(١)

إنهم - في الحقيقة - جيل فريد لا كالأجيال ، ورجال متميزون لا كالرجال ، وأمة رائدة لا كباقي الأمم . . وصدق الله في الحديث عنها : ﴿ كُتِبَ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

أولئك آبائي فجئني بمثلهم
إذا جمعتنا يا جرير الجامع

(١) من مقال للدكتور المرحوم الشيخ مصطفى السباعي بعنوان " نحن أمة الخلود " نشر في جريدة " المنار " .

يا شباب :

كثيراً ما نسمع عن شعارات خمسة ترددها السن ، وتهتف بها حناجر :
" الله غابتنا ، والرسول قدوتنا ، والقرآن دستورنا ، والجهاد سبيلنا ، والموت في سبيل الله أسمى
أمانينا " .

ولكن هذه الشعارات التي تنبعث من الأفواه المؤمنة هنا وهناك لا يمكن أن تتفاعل مع القلوب ،
ولا أن تترك أثرها في النفوس إلا أن يتأسى المنادون بها بأصحاب المدرسة الأولى التي قام على تأسيسها
نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه ، وخلفاؤه وأصحابه من بعده ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم
الدين . . هذه المدرسة التي خرجت رجالاً وأبطالاً كانوا وما زالوا المنارات المتألئة للأجيال المسلمة في
كل زمان ومكان . . منارات الإيمان والإخلاص ، منارات في الجهاد والتضحية ، منارات في الصبر
والعزيمة ، منارات في الثبات والصمود ، منارات في التبليغ والدعوة ، منارات في الأخلاق والمعاملة . . .
وعندما يتخلق شبابنا بهذه الشعارات الخمسة ، ويظهر أثرها في أقوالهم وأفعالهم ، وتتجسد في
حياتهم وواقعهم . . عندئذ يُرجى للإسلام عزة وكيان ، وتقوم للمسلمين وحدة ودولة . . وليس ذلك
على الله بعزيز .

(١) أتدرون - يا شباب - ما هو التخلق بشعار " الله غابتنا " ؟

* أن تخلصوا لله في كل قول وعمل ، وفي كل عبادة وجهاد . . . حتى يقبلكم الله من عباده
المخلصين ، وليكن شعاركم الذي ترددونه في كل وقت وكل حين : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي
ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ [الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣] .
* أن تعتقدوا في قرارة وجدانكم أن شريعة الله هي الهادية والمنقذة والشاملة والخالدة . . وما
عداها من أنظمة الأرض وقوانين البشر تخبط وشقاء وجاهلية : ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا
تبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم

بعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاستقون ، أفحكهم الجاهلية يبعون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴿ المائدة : ٤٩ ، ٥٠] .

* أن تستسلموا استسلاماً كاملاً لكل ما يأمر الله به من أمر ، وما ينهى عنه من نهي . . وهذا من مقتضيات الإيمان والعبودية لله سبحانه ، ذلك لأن الله هو الخالق فله الحق أن يتصرف في شؤون خلقه كما يريد وهو العليم . . فهو أعلم بما يصلح عباده من أنظمة ومناهج وأحكام . . ، وهو الحكيم يضع كل شيء في موضعه المناسب بالشكل الذي يؤدي إلى تحقيق المصالح ، ودرء المفسد . . .

وحسبكم أن تتأسوا بأمر المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أمثاله واستسلامه لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في تقبيل الحجر الأسود دون أن يدرك الحكمة من التقبيل ؛ فما وسعه غير أن يخاطب الحجر بقوله : " أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك " البخاري ومسلم .

وصدق الله سبحانه القائل : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

* أن توقنوا من أعماق قلوبكم أن الله سبحانه هو المحيي والمميت ، وهو المعز والمذل ، وهو النافع والضار ، وهو الباسط والقابض . . وهو بيده مقاليد كل شيء وهو على كل شيء قدير .

فما عليكم إلا أن تستسلموا لقضائه في كل ما ينوب ويروع ، وأن ترضوا بقدره في كل ما يطرأ ويقع ، وأن تصبروا على حكمه في كل ابتلاء ومصيبة . . أن تضعوا نصب أعينكم قوله تبارك وتعالى : ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ [البقرة : ١٥٧ - ١٥٥] .

* وأخيراً لا يمكن أن تتحققوا بشعار " الله غايتنا " إلا أن تجعلوا رضى الله سبحانه وخشيته في نفوسكم هدفاً ، وغاية ، سواء أرضي الناس عليكم أم سخطوا ، آثنوا عليكم أم ذمواكم ، أعرضوا عنكم أم أقبلوا ؟

وحسبكم أن تضعوا نصب أعينكم قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ٦٢] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَّهَ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ ، وَمَنْ أَسَخَطَ النَّاسَ بِرِضَى اللَّهِ كَفَاهَ اللَّهُ مَوْتَةَ النَّاسِ " الترمذي وأبو نعيم .

وقوله أيضاً : مَنْ أَرْضَى سُلْطَانًا بِمَا يُسَخِطُ رَبَّهُ خَرَجَ مِنْ دِينِ اللَّهِ " الحاكم .
وما أجمل أن تمثلوا بقول القائل في محبة الله وابتغاء رضوانه :

فليتك تحلوا والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبينى وبين العالمين خراب
إذا صح منك الودّ فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

(ب) ثم أتدرون ما هو التحقق بشعار : " الرسول قدوتنا " ؟ (١)

هو الاقتداء الكامل بالمثل الأعلى الذي سما على كل العبقريات البشرية ، والنضج الإنساني . .
والذي كان وما زال المنارة المتلألئة في آفاق الظلمات ، ودروب الجاهلية . . . وكلما توالت الدهور ،
وتعاقبت العصور وجد الناس في شخصية محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل ، والأسوة الصالحة ،
والمنار الهادي . . .

﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ [الأنعام : ١٢٤] .

وعظمة القدوة الحسنة التي اختص بها صاحب الرسالة الخالدة صلوات الله وسلامه عليه هي
شاملة عامة ، سواء ما يتعلق بالعبادة أو الزهد ، أو ما يرتبط بالتواضع أو الحلم ، أو ما يختص بالقوة أو
الشجاعة ، أو ما يتصل بحسن السياسة أو الثبات على المبدأ . .

تعالوا - يا شباب - نستقي من بحر عظمته ، ومن فيض كماله . . .

غرفة تروينا من الظمأ ، وتغسل عنا أدران الجاهلية ، وتجعلنا شامة في الناس .

* تعالوا تتأسى بقدوة العبادة التي بلغ عليه الصلاة والسلام في مراتبها أعلاها ، يقول المغيرة بن

شعبة رضي الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتورم قدماه ، ولما قيل

له : أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : " أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ " (٢) .

وأخرج الشيخان عن علقمة قال : سألت عائشة رضي الله عنها : أكان رسول الله صلى الله

عليه وسلم يخص شيئاً من الأيام (يقصد الزيادة في العبادة) قالت : لا ، كان عمله ديمة (٣) وأيكم يطيق

ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيق ؟ .

(١) على شباب الإسلام أن يتقيدوا بالهتاف بلفظ " الرسول قدوتنا " بدلاً من لفظ " الرسول زعيمنا " لأن الفرق كبير بين القدوة التي هي من تغايبس القرآن ، وبين الزعامة التي هي من مسميات البشر ، كما أن الفرق شاسع بين ما هو في الأصل صاحب قدوة كالنبي ، وبين من هو لا يستحق هذا الوصف كالزعيم الدجال ، ورحم الله من قال :

ألم تر أن السيف يصغر قدره إذا قيل هذا السيف أمضى من العصا

(٢) البخاري ومسلم .

(٣) أي دائماً مستمراً لا ينقطع .

وهكذا فقد تعلق قلب النبي صلى الله عليه وسلم بالله فهو معه في كل حين ، وشغف بالعبادة والمناجاة . . فهو يقوم الليل ، ويصرف فيها جزءاً من النهار ، ويجد في الصلاة لذته وقرّة عينه . . وينهى أصحابه أن يقلدوه فيما لا طاقة لهم به ، تقول عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع العمل وهو يحب أن يعمل به ، خشية أن يعمل الناس به فيفرض عليهم .

ويروي أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم واصل " أي صارم مواصلاً الليل بالنهار ، والنهار بالليل يومين أو ثلاثة " وكان ذلك في آخر رمضان ، فواصل ناس معه ، فبلغه ذلك ، فقال : لو مدّ لنا الشهر لواصلنا وصالاً يدع له المتعمقون " أي المبالغون " تعمتهم ، إني لست مثلكم ، أظنّ يطعمني ربي ويستقيني " أي يعينني ويقويني .

وإن الذي يلفت النظر في ظاهرة تعبده عليه الصلاة والسلام هو ذلك الجمع الغريب بين العبادة التي بلغ أعلى مراتبها ، وبين القيام على أمور الدنيا وشؤون الدعوة ، وقضايا الجهاد . . . كان يناضل أمة بأكملها ، ويسوس دولة قتيّة في وجه العالم ، يوفد إلى الملوك ويدعوهم ، يستقبل الوفود ويكرمهم ، ويبعث السرايا ويقودها ، ويجادل من حوله من أهل الأديان وأهل السلطان ، ويهيم للنصر ، ويحاط للهزيمة ، ويبعث العمال ، ويجبي الأموال ، ويقسمها بنفسه ، ويقول : " إن لم أعدل فمن يعدل " ؟ ويشرع للناس دين الله فيفصل الجمل من الوحي ، ويوضح الغامض ، ويرسم السنن ، فيخرج من الأصل فروعه ، ويرد ما لم يطلعه الله عليه إلى ما أطلعه الله عليه ، وهو في كل ذلك يؤدي العمل اليومي الذي ينوء به أبطال هذه الدنيا ؛ وبين هذه الهوموم والمشاغل يتجلى النبي صلى الله عليه وسلم الناسك العابد بالليل والنهار أعظم انقطاعاً إلى الله ممن انقطعوا إليه في الصوامع وفي رؤس الجبال . . ذلك الجمع بين الدين والدنيا يجعل من أبطال الأبطال صلى الله عليه وسلم مثلاً قائماً بنفسه في تاريخ البشرية منقطع النظير . . (١) .

(١) من كتاب بطل الأبطال لعبد الرحمن عزام ص ٤٨ مع بعض التصرف .

وكيف لا يكون صلى الله عليه وسلم في أعلى مراتب العبادة وهو المنفَذ لكل ما أمره الله به من تهجد وعبادة وتسبيح وذكر ودعاء . . . :

﴿ يا أيها المزمّل قم الليل إلا قليلاً ، نصفه أو انقص منه قليلاً ، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً ، إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ، إن ناشئة الليل هي أشد وطناً وأقوم قبلاً ﴾ [المزمّل : ٦ - ١] .

﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ [الإسراء : ٧٩]

﴿ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً ، ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً ﴾ [الدهر : ٢٦] .

* تعالوا تتأسي بقدوة الزهد التي بلغ عليه الصلاة والسلام في تحقّقها مداها . .

يقول عبد الله بن مسعود : دخلت على الرسول صلى الله عليه وسلم وقد قام على حصير ، وقد أثر في جنبه الشريف ، فقلت : يا رسول الله ، لو اتخذنا لك وطاءً تجعله بينك وبين الحصير يقيك منه ! فقال صلى الله عليه وسلم : " ما لي وللدنيا ، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظلّ تحت ظل شجرة ثم راح وتركها " ؛ وهو القائل : " اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً " ^(١) .

وروى البخاري : عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة : " يا بن أخي ، إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهلة في شهرين ، وما أوقدت في بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار ^(٢) . . فقلت : يا خالة ما كان عيشكم ؟ قالت : الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار لهم منائح ^(٣) ، وكانوا يمنحون رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقيننا ! ! " . .

وروى ابن جرير عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : " ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بُرّ (حنطة) ثلاثة أيام تباعاً منذ قدم المدينة حتى مضى لسبيله " . .

(١) أي لا يزيد عن الحاجة .

(٢) أي لا يطبخ طعام .

(٣) ج : منيحة ، وهي الشاة تعار لينتفع بها .

وأخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : إن فاطمة رضي الله عنها ناولت النبي صلى الله عليه وسلم كسرةً من خبز الشعير ، فقال لها : " هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام " .
وكيف لا يكون النبي صلى الله عليه وسلم في أعلى مراتب الزهد وهو المنفذ لما أَرَادَهُ اللهُ منه ،
وما خاطبه به :

- ﴿ وللآخرة خير لك من الأولى ﴾ [الضحى : ٣] .

- ﴿ ولا تمدنَّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خيرٌ وأبقى ﴾ [طه : ١٣١] .

وعليكم ألا تفهموا - يا شباب - أن نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه حين أقام نفسه على خلق الزهد والقناعة وعيش الكفاف . . أراد من ذلك أن يحرم على نفسه وأهله زينة الله التي أخرجها لعباده والطيبات من الرزق . . حاشاه أن يفعل ذلك وهو الذي أنكر على بعض أصحابه تحريمهم على أنفسهم الزواج واللحم والفطر والأخذ بمحظوظ الحياة . . .

وعليكم ألا تفهموا أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم كان زاهداً لفقراً أو لضيق ذات اليد أو لقلّة طعام . . ولو أراد مباحج الحياة والإكثار من الطيبات ، والتمتع بزهرة الحياة الدنيا . . لجاءته الدنيا طائعة صاغرة راغمة . . ولكن أراد من زهده وتعففه عليه الصلاة والسلام أموراً أذكر لكم أظهرها وأهمها :

- أراد أن يُعلم الأجيال المسلمة بزهده هذا معنى المحبة والبذل والإيثار . .

روى البيهقي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : " ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية ولو شئنا شعبنا ولكم كان يُؤثر على نفسه " ، وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان يعطي عطاءً من لا يخشى الفاقة .

- أراد أن تتأسى الأجيال المسلمة بالعيش الكفاف القنوع . . .

مخافة أن تقدهم زهرة الحياة الدنيا وقتنها عن واجب الدعوة والجهاد ، وتبطرهم النعمة والمغلاة في الطيبات عن إعلاء كلمة الله ، ومخافة أن تبسط عليهم الدنيا قتهلكهم كما أهلكت من كان قبلهم . . .

روى البخاري ومسلم أن أبا عبيدة رضي الله عنه لما قدم بمال من البحرين خرج الأنصار لاستقباله بعد صلاة الفجر ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال : "أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين فقالوا : أجل يا رسول الله فقال : "أبشروا وأملوا ما يسركم ، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها قتهلككم كما أهلكتهم " . .

- أراد أن يفهم الذين في قلوبهم مرض من منافقين ومبشرين وغيرهم من أعداء الإسلام أن صلى الله عليه وسلم ما أراد من دعوته التي كان يدعو الناس إليها جمع المال ، ولا المظاهر الفانية ، ولا الدنيا الزائلة ، ولا النعيم ، ولا الترف ، ولا أن يصطاد الدنيا باسم الدين . . وإنما أراد التماس الأجر من الله وحده ، وأن يلقى الله عز وجل وليس عنده من حطام هذه الدنيا إلا الطعام الذي يكفيه ليلته ، والكساء الذي يستر عورته . . وما يبقى في بيته من أثاث ودراهم . . فهو صدقة . وهذا شأنه وشأن الأنبياء من قبل : ﴿ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أُجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ [هود : ٢٩] .

* تعالوا تتأسي بالمثل الأعلى للتواضع وبالمثل التي انطبع عليها سيد العرب والعجم عليه الصلاة والسلام .

وإيكم - يا شباب - شذرات خاطفة من تواضعه الجسم ، وخلقته العظيم تعرفوا خلق النبي صلوات الله وسلامه عليه في التواضع والتياسر وخفض الجناح . .

أجمع من عاصر النبي صلى الله عليه وسلم ورآه أنه صلوات الله وسلامه عليه كان يبدأ أصحابه بالسلام ، وينصرف بكلية إلى محدثه صغيراً كان أو كبيراً ، ويكون آخر من يسحب يده إذا صافح ، وإذا أقبل جلس حيث ينتهي بأصحابه المجلس ، وكان يذهب إلى السوق ، ويحمل بضاعته ويقول : " أنا

أولى بجمالها " ، ولم يتكبر عن عمل الأجير والصانع . . سواء كان في بناء مسجد المدينة ، أو الخندق . . . وكان يجيب دعوة الحر والعبد والأمة . . . ويقبل عذر المعتذر ، وكان يرفع ثوبه ، ويخفف نعله ، ويخدم في مهنة أهله . . وكان يعقل بعيره ^(١) ويأكل مع الخادم ، ويقضي حاجة الضعيف والبائس ، ويجلس على الأرض . . .

وكيف لا ، وقد أدبه الله سبحانه بهذا الأدب القرآني حين قال : ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ [الشعراء : ٢١٥] .

* تعالوا تناسي بقدوة العفو والحلم التي بلغ فيها عليه الصلاة والسلام أعلاها ، سواء عن عفوه وحلمه فيما يلقاه من جفوة الأعراب ، أو فيما عامل به - بعد النصر والقوة - غطرسة الأعداء . . .

أما عن حلمه فيما يلقاه من جفوة الأعراب فنذكر هذين المثالين :

(أ) أخرج البخاري عن عبد الله رضي الله عنه قال : لما كان يوم حنين آثر النبي صلى الله عليه وسلم ناساً . . أعطى الأقرع بن حابس رضي الله عنه مائة من الإبل ، وأعطى عُمَيْيَةَ رضي الله عنه مثل ذلك ، وأعطى ناساً . . فقال رجل : والله إن هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله فقلت والله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتيته فأخبرته فقال صلى الله عليه وسلم : " من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ! رحم الله موسى ، قد أوذني بأكثر من هذا فصبر ! " .

(ب) وروى الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال : كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُرْدٌ نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة ، فنظرت إلى صفحة عاتق ^(٢) النبي صلى الله عليه وسلم وقد أثرت به حاشية البرد من شدة جبذته ، ثم قال : يا محمد مُرِّي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعتاء .

(١) يعقل بعيره : أي يربطه من عقاله .

(٢) العاتق ما بين العنق والكتف .

وأما عن حلمه فيما عامل به الأعداء بعد القوة فحسبنا أن ننظر إلى معاملته لأهل مكة الذين أسرفوا في إيدائه ، وأمعنوا في إضطهاده وأخرجوه من بلده ، وتآمروا على قتله ، وقذفوه بكل بهتان من القول وزور . . . لتجلى لكم - يا شباب - نفسه الكريمة في مرآة عفوه وصفحه الجميل . . (انظروا إليه فاتحاً في جيش كبير لم تر جزيرة العرب مثله يكتسح مكة ، وتطوُّها خيله . . انظروا إليه والبلاد في رحمته يشملها عفوه ، والسادة الزعماء الذين عتَوْا في الأرض، وفعلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأفاعيل يجزون بالبر والإحسان ، ويعاملون بالعمو والصفح الجميل . وحكام الأرض لا تعرف لأمثالهم غير قطع الرؤوس . .)^(١) فما كان منه عليه الصلاة والسلام إلا أن جمعهم ومناهم وأمنهم . . وقولته لهم قوله الخالدة : " ما ترون أني فاعل بكم " ؟ قالوا : خيراً أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء " . وكيف لا ، وقد أنزل الله عليه في محكم التنزيل ؟!!

- ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .

- ﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾ [الحجر : ٨٥] .

* تعالوا تتأسى بقدوة القوة الجسدية التي فاقت كل قوة لتعلموا - يا شباب - العظمة الشاملة في شخصية نبيكم عليه الصلاة والسلام . .

وكيف لا وقد صرع عليه الصلاة والسلام سيد المصارعين رُكَّانة ثلاث مرات ، فقال له بعد الثالثة : أشهد أنك رسول الله ؟ وكيف لا ، وقد تصدى عليه الصلاة والسلام لأبي بن خلف في معركة أُحدٍ مجرِّبةٍ سددها على صدره فسقط عن الفرس وهو مضججٌ بدمائه ؟

وكيف لا ، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يلجؤون إليه عند حفر الخندق لتفتيت صخرة كبيرة صماء لم تعمل فيها السواعد ولا الفؤوس ؟

وكيف لا ، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يلوذون بالنبي صلى الله عليه وسلم عند اشتداد المعارك لما يعلمون من رباطة جأشه ، وقوة جسمه ، ومثانة أعصابه . . ؟

(١) من كتاب بطل الأبطال لعزام " عفوه وصفحه " ص ٥٥ .

وكيف لا يكون عليه الصلاة والسلام في أعلى مراتب القوة وهو القائل : " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف " ؟ رواه مسلم .

وكيف لا يعطي لأمته جانب القدوة في قوة الجسم ، ومواقف البطولة وقد أنزل الله عليه في صريح آياته :

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم .. ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

* تعالوا تتأسى بقدوة الشجاعة التي أعطى بها المثل الأعلى في الجاهلية والإسلام وإليكم - يا شباب - نماذج من شجاعته عسى أن تتأسوا بهذا النبي العظيم ، فلا تحشون جباراً ، ولا تخافون طاغوتاً ، ولا تهابون عدواً . . . ما دتم على الحق والهدى والصراط المستقيم . . (قد امتحنت شجاعته عليه الصلاة والسلام طوال حياته ، فما تطرق إليها وهن ، وما أصابها ضعف ، وهذه الشجاعة لازمتها منذ الصبا فهو فيها المجلّى في الجاهلية والإسلام . .

استخلف مرة وهو صبي باللات والعزى ، فقال : لا تسألني بهما شيئاً ، فوالله ما بغضتُ شيئاً بغضي لهما ، هذا الصبي يتحدث بهذه الجرأة عن آلهة القوم لا يخشى بطشاً وهو المشهور بالحياء حتى قيل في حياته : إنه كان أشد حياءً من العذراء في خدرها . .

خرج إلى اليمن في قافلة مع عمه ، وكان في السابعة عشرة من عمره ، فرأوا في وادٍ فحلاً من الإبل قد توحّش وجمح ، فعرض له محمد الشاب وكبح جماحه .

واعترض القافلة وادٍ مليءٌ ماءً فهابته الجماعة ، فتقدم وقال " اتبعوني ، اتبعوني ! . . " .
هذه أمثلة من جرأة الصبا ، ولكن الأمثلة التي نريدها ، والتي ينحني لها أبطال العالم إكباراً وإجلالاً ، هي تلك التي ضربها بعد الرسالة ، وبعد أن جهر بالدعوة ، وبعد أن هاجر إلى المدينة ، يقول عليٌّ

كرم الله وجهه : " كما إذا اشتد البأس . وحمي الوطيس ، واحمرت الحدق ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه " .

وهاكم حادثين ، هما عندي المثل الأعلى في شجاعة المحارب :

(أ) فرغ أهل المدينة ليلة ، فانطلق ناس قبل صوت ، فلتقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد سبقهم إلى ذلك الصوت ، واستبرأ الخبر على فرس عزمي لأبي طلحة ، والسيف في عنقه وهو يقول : " لن تراعوا ! . . . " .

(ب) ويوم حنين وقف على بغلته ، والناس يفرّون عنه وهو يقول :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

فما ربي أحد يومئذ كان أثبت منه ولا أقرب للعدو .

ولقد اخترت هاتين الحادثتين من تاريخ طويل ، لأن الأولى منهما هبّ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكان الخطر قبل أن يتحرك الناس ، وفي الثانية ثبت عليه الصلاة والسلام في مكان الخطر وقد فرّ الناس ، والذين لهم علم بالحرب يعرفون أنه بهذين الموقفين تمتحن الشجاعة ، ويعرف الأبطال ، فليس أصعب على النفس من السبق إلى الخطر ، ولا من الصبر عليه ، وقد استولى الخوف ، وغلب الرعب^(١) . .

وكيف لا يكون عليه الصلاة والسلام شجاعاً مقداماً في أخطر المواقف ، وفي أحلك الظروف وقد أنزل الله عليه في محكم آياته : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم . . ﴾ [التوبة : ٧٣] .

وأنزل : ﴿ اتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ﴾ [التوبة : ١٣] .

* تعالوا تناسي بقدوة حسن السياسة في تصريف الأمور التي كان فيها مضرب المثل للناس جميعاً صغيرهم وكبيرهم ، مؤمنهم وكافرهم ، أصدقاء وأعداء ، أقرباء وأبعد . . . ولقد أوتي عليه الصلاة

(١) من كتاب الأبطال " شجاعته " عليه الصلاة والسلام .

والسلام النجاح في كل شيءٍ لما فطّر عليه من أخلاق كريمة ، وما أعطيه من حسن السياسة ، ووضع الأمور في نصابها . .

وتجلى هذه السياسة الحكيمة - يا شباب - في معاملته لأصحابه ، ومواقفه مع أعدائه ، وتصريفه لشؤون الدولة .

أما فيما يتعلق في معاملته لأصحابه : فقد ملك قلوبهم بخلقِه ، واستولى على نفوسهم بعطفه وحسن ملاحظته . . روى مسلم أن معاوية ابن الحكم السلمي حدث يوماً فقال : بينما أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم فقلت : يرحمك الله ، فرماني القوم بأبصارهم فقلت : واثكل أميَّاه ! . . ما شأنكم تنظرون إليّ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يصمّونني سكت ، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبأبي هو وأمي ، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه ، فوالله ما نهرني ، ولا ضربني ، ولا شتمني . . إنما قال : إن الصلاة لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن . . والشواهد على ذلك كثيرة . .

أما مواقفه مع أعدائه : فإنها أكثر من أن تحصى ، فمن أبرزها صلح الحديبية الذي حسم فيه النزاع بينه وبين قريش ، والذي مهد فيما بعد لفتح مكة وتحرير الجزيرة العربية من براثن الشرك ، وأوضاع الجاهلية . . .

أما تصريفه لشؤون الدولة : فقد أجمع رجالات السياسة في كل زمان ومكان أن محمداً صلوات الله وسلامه عليه قد أوتي من الفطانة والذكاء والعبقرية ، وحسن التدبير، وكمال العقل . . ما استطاع به أن يتغلب على كل صعب ، وأن يصل إلى كل غاية ، وأن يحقق لأمته كل عز وكرامة ، وأن يخطط لأمة الإسلام من بعده كل ما تصبوا إليه من مجد وقوة وسيادة . . .

فمن حين ما وطئت رجلاه المدينة شرع في الحال ببناء مسجده الشريف . . فكان متعبداً ومصلياً ، وداراً للشورى ، ومقرراً للسلطة التنفيذية ، ومركزاً للقيادة العليا ؛ منه تصدر الدعوة إلى الله ،

والشرائع لخلقه ، ومنه تنبعث الجيوش المؤمنة إلى أنحاء الأرض فاتحة محررة . . وفيه تستقبل الوفود ،
ويُلَقَّن العلم ، ويُفَصِّل ما بين الناس . .

ثم استطاع عليه الصلاة والسلام بعد فترة وجيزة من الزمن أن يقيم في المجتمع المدني الوحدة
الإسلامية المتراسة تحت راية المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وتحت شعار التآلف بين الأوس
والخزرج . . حتى أصبح الجميع عباد الله إخواناً يشد بعضهم بعضاً . . وكان من نتيجة هذه الوحدة
المتراسة تحرير مجتمع المدينة من اليهود ، وتحرير مجتمع مكة من المشركين ، وإقامة حكم الإسلام في
الجزيرة العربية كلها . .

ولو لم يتصف النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصفات الفاضلة ، ولو لم يؤت هذه الفطانة ،
وحسن الذوق السياسي والعسكري لما استطاع أن يقيم في المدينة دولة الإسلام ، ولما دانت له الجزيرة
العربية بالحب والولاء . . .

وكيف لا يكون عليه الصلاة والسلام قدوة في حسن سياسته ، ومعاملته لأصحابه ، وتصريفه
للأمور وهو المتمثل لأمر ربه في هذه السياسة التي انتهجها ، وتلك المعاملة التي تميز فيها . .
اسمعوا إلى تأديب ربه له ، ومخاطبته إياه : ﴿ فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ
القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن
الله يحب المتوكلين ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

* تعالوا تتأسى بقدوة الثبات على المبدأ التي كانت صفة بارزة من صفاته عليه الصلاة والسلام
، وخلقاً أصيلاً من أخلاقه صلى الله عليه وسلم ، فما كان يصدده عن دعوته الرياح الهوج مهما عصفت
، وما كان يرده عن تبليغ الرسالة الإسلامية الإحن السود مهما اشتدت ، وكلما اشتدت عليه الأهوال ،
ونزلت في ساحته المصائب ازداد صلابة وإيماناً ، وامتلاً عزمًا و يقينًا ، فلا يجد من سبيل سوى أن
يناجي ربه داعيًا ، ويستعطفه راحمًا ، ويرجوه ناصرًا ، ويقول : " اللهم إليك أشكوا ضعف قوتي ، وقلة
حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إن لم يكن بك علي

غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أشرقت له الظلمات ،
وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك لك العتيبي حتى ترضى ولا
حول ولا قوة إلا بك . . " .

وعليكم - يا شباب- أن تذكروا عندما آذته قريش بأنواع الإيذاء ، وأصناف الآلام، حتى بلغت
بهم الوقاحة أنهم ضربوه بالحجارة ، وعفروا رأسه بالتراب ، فأتت إليه ابنته فاطمة تغسل عنه التراب
وهي تبكي وليس أوجع لقلبه الكبير من أن يسمع بكاء الأنوثة عند نحيبها بكاء فاطمة التي كان دمعاها
يسيل من المآقي قطرة قطرة فتهوي على قلبه الرحيم عطفاً وحناناً !! . .

ولكن ماذا صنع نبينا العظيم صلوات الله وسلامه عليه أمام هذا الموقف الرهيب الذي يحرك
العاطفة من أعماقها ، ويثير في الحاشايا أنات ما أقساها لقد خاطبها بقوله صلى الله عليه وسلم : " لا
يا فاطمة . . فإن الله مانعُ أباك ، والله ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب " .

وكلكم تعلمون - يا شباب - موقفه مع عمه أبي طالب حين ظن أنه مُسَلِّمُهُ وخاذله ومتخلٍ عن
نصرتة . . وهنا تقف لحظة لنستمع إلى كلمات الحق والإيمان ، وتنبعث من القلب الطاهر ، وإلى
عبارات الثبات على المبدأ تتردد على لسان صاحب الرسالة لتعلن إلى الدنيا كيف يكون اليقين
والثبات . وكيف يمتحن الرجال والأبطال : " والله يا عمي: لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في
يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه " ، ثم قام واستعبر باكياً ، فلما
رأى عمه عزمه الصادق ، وثباته الراسخ ، ناداه وقال: اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا
أسلمك لشيء أبداً .

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيننا

فأي ثبات على العقيدة والمبدأ أعظم من هذا الثبات ؟ وأي امتحان للإيمان أكبر من هذا
الإمتحان ؟ .

وتعلمون كذلك - يا شباب - أن المشركين في مكة سلكوا مع النبي صلى الله عليه وسلم شتى الوسائل ، ومختلف الأساليب ليثنوه عن دعوته ، ويصدوه عن أداء رسالته فما تأثر ولا استجاب ولا استسلم ، فسلكوا طريق الإغراء والإغواء فما استكان وما خضع ، وسلكوا طريق الضغط القبلي فما استكان وما خضع ، وسلكوا طريق الاستهزاء والإعراض والسخرية وإشاعة التهم . . فما استكان وما خضع ، وسلكوا معه طريق المقاطعة الشاملة له ولمن آزره . . فما استكان وما خضع ، وقرروا أخيراً ملاحظته واغتياله فما استكان وما خضع ! . . . وبعد الهجرة حاربوه بجملات عدّة ، وحروب طاحنة ، ليستأصلوا دعوته وأتباعه ، فما كان ذلك ليرده عن إعلاء كلمة الله وتبليغ رسالة الإسلام إلى الدنيا . . .

وما زال عليه الصلاة والسلام يكافح في سبيل الإسلام ويجاهد في سبيل هذا الدين ، ويعبر على الأذى والاضطهاد حتى دخل الناس في الإسلام ، أفواجًا تلو أفواج . . وأخيراً انتصر الإسلام ، وقامت الدولة الإسلامية . . . كل ذلك بفضل جهاد صاحب هذه الدعوة وثباته وعزمه وتصميمه عليه الصلاة والسلام^(١) .

وكيف لا يكون عليه الصلاة والسلام متصفًا بهذه الصفة البارزة من الصمود والثبات وقد أنزل الله عليه في محكم الآيات :

﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ [المائدة : ٦٧] .

﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ [الأحقاف : ٣٥] .

﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾ [البقرة : ٢١٤] .

(١) من كتابنا " إلى ورثة الأنبياء " الطبعة الرابعة ص ٥٩ .

وأخيراً أريد أن أذكركم - يا شباب - بقدوة لها أهميتها في تمييز الشباب المسلم عن غيره من الشباب الأوهي :

فصاحة اللسان ، وبلاغة الكلام ، وأدب الحديث ، ومعرفة الخطاب . . .

تعالوا نستمد هذه القدوة من أفصح من نطق بالضاد ، ومن خير من يؤخذ عنه الأدب . . كان عليه الصلاة والسلام يتكلم بكلام مفصل مبين ، بحيث لو أراد مستمعه أن يعدّه لأمكنه ذلك لوضوحه وبيانه ، روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها : " ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد الحديث كسردكم هذا ، يحدث حديثاً لو عدّه العاد لأحصاه " .
وروى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : " كان كلامه صلى الله عليه وسلم فصلاً يفهمه كل من سمعه " .

وفي الصحيحين عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه ، وكان صلى الله عليه وسلم يتكلم بكلام فصل لا هزُر ولا نَزُر ، ويكره الثرثرة في الكلام والتشديق به .

وكان صلى الله عليه وسلم يكره التنطع في الكلام والتكلف في فصاحته كما ورد في سنن أبي داود والترمذي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله عز وجل يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما يتخلل ^(١) البقر بلسانها " .

وكان صلى الله عليه وسلم حسن اللقاء ، وكريم الإقبال على جلسائه ؛ روى الطبراني عن عمرو بن العاص قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل بوجهه وحديثه على سرّ القوم ، يتألفه بذلك ، وكان يقبل بوجهة عليّ حتى ظننت أني خير القوم ، فقلت : يا رسول الله أنا خير أم أبو بكر ؟ فقال : " أبو بكر " ، قلت يا رسول الله أنا خير أم عمر ؟ قال : " عمر " ، قلت : يا رسول الله أنا

(١) قال في النهاية : هو الذي يتشقق في الكلام ، ويضخم به لسانه ويلفه كما تلف البقرة الكلاً بلسانها لفاً .

خير أم عثمان ؟ قال : " عثمان " ، فلما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم صدّ عَنِّي ، فودِدْتُ أني لم أكن سألته .

وكان صلى الله عليه وسلم أطلق الناس وجهًا ، وأكثرهم تسمًا ، وأحسنهم بشرًا ، روى البزار بإسناد حسن عن جابر رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه الوحي أو وعظ قلت : نذير أتاهم العذاب ، فإذا ذهب عنه ذلك رأيتُه أطلق الناس وجهًا ، وأكثرهم ضحكًا ، وأحسنهم بشرًا ، لم ير قطّ ما ذًا رجله بين أصحابه .

وكان صلى الله عليه وسلم إذا خطب لا يُخَلِّ ولا يُمِلُّ ، روى أبو داود عن جابر بن سمرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يطيل الموعظة يوم الجمعة ؛ إنما هي كلمات يسيرات .

وكان صلى الله عليه وسلم يتغير حاله عند الموعظة اهتمامًا وإعظامًا ويُعرف ذلك في وجهه ، روى مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب اشتد غضبه ، وعلا صوته ، واحمرّت عيناه ، كأنه منذر جيش يقول : " صَبِّحْكُمْ وَمَسَاكُمْ " .

ذلكم هو التحقق بشعار " الرسول قدوتنا " . . والذي ذكرناه ما هو في الحقيقة إلا غيض من فيض عظمته عليه الصلاة والسلام ، وغرفة من بحر كمالته صلوات الله وسلامه عليه . . ومن أراد المزيد من ضروب المآثر ، والإحاطة ببحور المحاسن والمكارم . . فليرجع إلى ما كتبه المؤرخون ، وما دونه المحدثون . . فإن فيها ما يشفي الصدور ، وما يروي الغليل !! . .

فما عليكم - يا شباب - إلا أن تعقدوا العزم ، وتشحذوا الهمة لتتأسوا بالكمال الإنساني المتجسد في شخصية نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه . . وهذا ما يجعلكم متميزين على سائر الناس في كل شيء ، متميزين في العبادة ، متميزين في الذهد ، متميزين في التواضع ، متميزين في الحكمة ، متميزين في الثبات ، متميزين في الفصاحة . . إلى غير ذلك من بوادير الكمال ومكارم الأخلاق . .

ويوم تتحققون - يا شباب - بشعار " الرسول قدوتنا " تكونون قد برهنتم للدنيا أنكم أمة تعمل ولا تقول، وتفعل ولا تدعي !! . .

وعندئذ يثق الناس بكم ، ويستجيبون لدعوتكم ، ويتأثرون بأقوالكم ، وينضون تحت رايتكم ، ويؤازرونكم في تحقيق أهدافكم . . ولن تمضي فترة وجيزة من الزمن إلا وقد ولدت الدولة الإسلامية وهي تيه على الدول عزاً وقوة وفخاراً . . وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

(ج) أتدرون - يا - شباب - ما هو التحق بشعار " القرآن دستورنا " ؟

* هو أن تؤمنوا من أعماق قلوبكم ، وقرارات وجداناتكم أن هذا القرآن العظيم هو كتاب الله أنزله الله سبحانه على قلب رسوله محمد بن عبد الله صلوات الله عليه ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً :
- ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ﴾ [الكهف: ١ ، ٢] .
* وهو أن تعلموا أن التحدي على الإتيان بمثله قائم من حين ما نزل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها :

﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ [الإسراء : ٨٨] .
* وهو أن تعلنوا للدنيا أن من يتبعون طريقه ويمشون على مبادئه هم على النهج الأهدى ، والطريق الأقوم ، والصراط المستقيم : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ [المائدة : ١٥ ، ١٦] .

* وهو أن تبينوا للناس أن هذا القرآن ليس لشعب دون شعب ، ولا لأمة دون أمة بل هو لكل الأمم ، ولكل الشعوب : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾ [الفرقان : ١] .

* وهو أن تنادوا بملء أفواهكم أن من يعرض عن القرآن ويتكَبَّ سبيله فهو أحمق جاهل مظلّم الروح أعمى البصيرة ..

- ﴿ ومن أَعْرَضَ عن ذِكْرِي فَإِن لَّه مَعِيشَةٌ ضَنْكًا ونَحْشِرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ، قال: رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وقد كُنتَ بَصِيرًا ، قال : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى ﴾ [طه : ١٢٦ - ١٢٤] .

* وهو أن تعلنوها صريحة مدوية تفرع مسامع الذين لا يعلمون .. أن هذا القرآن هو دستور حكم ، ومنهج حياة ، وسبيل عزة ، وطريق نصر .. فمن حاد عن هديه ضل وخسر وكان من القوم الضالين :

﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون . افحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ [المائدة : ٤٩ ، ٥٠] .

أتعلمون - يا شباب - أن كثيراً ممن ينتسبون إلى هذا الإسلام ويدعون أنهم مسلمون لا يعرفون شيئاً عن خصائص هذا القرآن الكريم ، ولا عن مزايا هذه الشريعة الإسلامية الغراء .. ولو علموا لما وقفوا من دينهم موقف الجحافة ، ولما أعرضوا عن كتاب ربهم هذا الإعراض ! لأن الإنسان عدو ما جهل ، وفاقد الشيء لا يعطيه أبداً .

وها نحن أولاً سنذكر بإيجاز خصائص هذه الشريعة ومزاياها العامة ، عسى أن يتثبت شبابنا بالحق بعد أن أدركوه ، وعسى أن يدكوا صرح الباطل بعد أن تبينوه :

﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ﴾ [الأنبياء : ١٨] .

وهذه الخصائص وهذه المزايا نلخصها في النقاط التالية :

- ١ - الربانية .
- ٢ - العالمية .
- ٣ - الشمول .
- ٤ - العطاء والتجدد .
- ٥ - العدل المطلق .

ونقصد بالربانية (أن أحكام هذه الشريعة وأسستها ليست من وضع بشر يحكمه القصور والعجز ، والتأثر بمؤثرات المكان والزمان والحال والثقافة ، ومؤثرات الوراثة والمزاج والهوى والعواطف . . . وإنما شارعها هو صاحب الخلق والأمر في هذا الكون ، ورب كل من فيه وما فيه ، الذي خلق الناس وهو أعلم بما ينفعهم ويرفعهم ، وما يصلح لهم ويصلحهم :

﴿ الأ يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ [الملك : ١٤] .

ونقصد بها كذلك أن هدف هذه الشريعة الأول والأعلى هو ربط الناس بالله تبارك وتعالى حتى يعرفوه حق معرفته ، ويتقوه حق تقاته ، ويعبدوه حق عبادته فهم لهذا وجدوا ، ومن أجل ذلك خلقوا .

وليس هذا خاصاً بما يتعلق بالعبادات الفردية فحسب ، وإنما يشمل ذلك سائر أحكام الشريعة في مجالاتها الأسرية والمدنية والجنائية والدولية وغيرها . .

ومن أجل هذه الربانية لم يكن للمسلم خيار في قبول هذه الشريعة وأحكامها ، فإن هذا مقتضى الإيمان ، وعقد الإسلام ، كما قال تعالى :

- ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾

[الأحزاب : ٣٦] .

وقال : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ [النساء : ٦٥] .

وقال : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ... هم الظالمون ... هم الفاسقون ﴾ [المائدة : ٤٧ - ٤٤] .

ومن ثم تجد أحكام هذه الشريعة التي تتسم بالربانية في قلوب المسلمين من الاحترام والالتقياد والطاعة لها ، ما لا يمكن أن يجده أي قانون آخر يضعه البشر بعضهم لبعض ، لأنها حكم الله : ﴿ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ ^(١) [المائدة : ٥٠] .

وتقصد بالعالمية (أن الشريعة الإسلامية في كل أحكامها ومبادئها وتوجيهاتها ذات صبغة إنسانية عالمية فهي رحمة للعالمين ، وهداية للناس كافة ، فليست تشريعاً لجنس خاص من البشر ، أو لإقليم معين من الأرض ، بل هي للإنسان من حيث هو إنسان ، أبيض وأسود ، عربيًا أو أعجميًا ، شرقيًا أو غربيًا ... فلا عنصرية في هذا التشريع ولا عنصرية لا طبيعة وإنما الناس فيه سواء) ^(٢) .
وهذه العالمية مؤكدة في أكثر من آية في كتاب الله :

- ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

- ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ [سبأ : ٢٨] .

- ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

(وهذه الميزة إنما هي أثر من آثار الصبغة الربانية في هذا التشريع ، فلو كان واضعاً فرداً أو فئة من الناس ، لتعصبت . - بوعي أو بلا وعي - لجنسها ووطنها وطبقتها ، ومصالحها ، ولكن المشرع هنا هو رب الناس ، إله الناس ، فهم جميعاً عباده ، لا فضل لفرد منهم على فرد ، ولا لفئة على أخرى بحكم الخلق والنشأة ^(٣) .

(١) من كتاب " شريعة الإسلام " للدكتور القرضاوي ص ١٩ - ١٨ .

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) من كتاب " شريعة الإسلام " للدكتور القرضاوي ص ٢٠ .

وتقصد بالشمول أن الشريعة الإسلامية اشتملت على نظم وأحكام ومصالح . . في كل جانب من جوانب البناء التكويني والإصلاح . . سواء ما يتعلق بالعقائد والعبادات والأخلاق ، أو ما يتعلق بالقوانين العامة من مسائل مدنية ، وأمور جنائية ، وأحوال شخصية ، ونظم اجتماعية ، وعلاقات دولية . . أو ما يتعلق بأسس الحكم ، وقواعد الاقتصاد ، وركائز المجتمع الفاضل . . كل ذلك في مبادئ دقيقة محكمة ، وفي تشريعات ربانية خالدة ، تعطي ولا تأخذ ، تجمع ولا تفرق ، وتؤلف ولا تبدد ، وتبني ولا تهدم تنزيل من حكيم حميد ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ .

وتقصد بالعطاء والتجدد أن الشريعة الإسلامية بمبادئها العامة وقواعدها الكلية تفي بحاجات الزمن المتطور ، وتواكب حضارات العصور المتجددة . . ولا سيما في أحكام المعاملات ، والمسائل الدستورية ، والنظم الاقتصادية، والعلاقات الدولية . .

ولنضرب على ذلك أمثلة :

القرآن الكريم في الأمور الدستورية والقضائية نص بوضوح على مبدأ العدل : ﴿ اعدلوا هو اقرب للتقوى ﴾ . . ﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ .

فهذا المبدأ الذي نصت عليه الآيات الكريمتان قاعدة كلية ثابتة لا تبدل ولا تغير ، وهذه القاعدة يجب العمل بها في كل زمان وفي كل مكان ، ولكن وسائل تطبيق مبدأ العدل متروك للزمن المتطور ، والحياة المتجددة ، فتطبيق مبدأ العدل في محكمة واحدة ، أو بتعدد من المحاكم ، أو بفصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية ، والسلطة التشريعية . . فهذا كله متروك للأصلح من تجارب البشرية .
فمقصد الشريعة الأول تطبيق مبدأ العدل ، فليكن التطبيق بأية وسيلة كانت ، وبأية صورة ارتآها أهل الحل والعقد ، وبأي تنظيم أشار إليه المتخصصون في هذا المجال ، ما دامت المحاكم تحقق مصلحة العدل بالنسبة للجميع .

ولنفس على ذلك مبدأ الشورى في قوله تعالى :

- ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ ، ومبدأ المساواة في قوله تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله اتقاكم ﴾ ، ومبدأ تنظيم المعاملات المالية في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل . . ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

وغيرها من المبادئ الاجتماعية ، والنظم الدستورية ، والقوانين الاقتصادية . . .
أما المسائل التي لم يرد فيها نص أصلاً فهي خاضعة للاجتهاد الزمني عن طريق القياس الصحيح ، أو اعتبار المصلحة المرسله والاستحسان ، أو غير ذلك من الأدلة التي تختلف في تقديرها آراء الفقهاء ، واجتهاد المجتهدين ، باختلاف مشاربهم ومدارسهم . . فيجتهد بهذه المسائل المستجدة التي لا نص فيها علماء راسخون متسمون بالورع والتقوى ، فيصدرون أحكامهم بما يحقق وجه المصلحة وما يتلائم مع التطور الحضاري ، والتقدم العلمي . . وفي هذا يقول علماء الأصول :

" لا يُنكَّرُ الأحكام بتغير الأزمان " .

أما المسائل التي ورد فيها نصوص قطعية كمسائل العقيدة وأركان الإيمان ، وأحكام العبادات ، وتحريم الزنى والربا والخمر والميسر ، وتحديد أنصبة الموارث ، وعدة الطلاق والوفاة ونحوها . . فهذه النصوص القطعية محرمة لا يدخلها الاجتهاد ، ولا تخضع لأي تبديل ، وكل من يريد أن يُدلىَ فيها ، أو يجتهد في تطويرها ، يكون هادماً للشريعة ، ومحارباً لله وللرسول ، وخالفاً من عنقه ربة الإسلام . .
وفي هذا يقول علماء الأصول :

" لا مجال للاجتهاد في مورد النص " .

ومما يدل على عطاء هذه الشريعة وتجدها المستمر على مدى الزمان أنها أتت بقواعد تشريعية مأخوذة من استقراء النصوص ، والوقائع الشرعية مثل : " الضرر يزال " " الضرر لا يزال بالضرر " ، " يَتَحَمَّلُ الضرر الخاص لدفع الضرر العام " ، " الضرورات تبيح المحظورات " ، " ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها " ، " درء المفسدة يقدم على جلب المصلحة " . .

وتقصد بالعدل المطلق " أن هدف الشريعة الإسلامية إقامة العدل المطلق بين الناس جميعاً ،
وتحقيق الإخاء بينهم ، وصيانة دمايتهم وأعراضهم وأموالهم وعقولهم ، كما صان دينهم وأخلاقهم ،
فغايتها تحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد . .

وليست غاية الشريعة مصلحة طبقة خاصة دون طبقة ، ولا شعب دون شعب ، وليست غايتها
تحقيق المصلحة المادية الاقتصادية مع إهمال الناحية الخلقية والروحية ؛ وليست غايتها تحقيق المصلحة
الدنيوية بقطع النظر عن المصالح الأخروية كما تفعل القوانين الأرضية وليست عكس ذلك كما هو شأن
بعض الديانات والتحل المغالية في نزعتها الروحية . .

ومراعاة هذه الاعتبارات كلها مستحيل أن يتحقق في تشريع بشري ، فإن مراعاتها جميعاً تحتاج
إلى علم إله ، ورحمة إله ، فالإنسان دائماً ينظر من زاوية ويفعل زوايا كثيرة؛ أما الذي ينظر النظرة الحبيطة
بكل شيء وكل جانب فهو الخلاق العليم الحكيم الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً : ﴿ الأي علم من
خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ " (١) [الملك : ١٤] .

هذا - يا شباب - أظهر ما في هذه الشريعة الإسلامية من خصائص ومزايا ، وإن شريعة تجمع في
طياتها مزايا الربانية والعالمية والشمول ، وتحمل في أنظمتها خصائص العدل والتجدد والاستمرار . . لهي
شريعة تستحق البقاء ، وتستأهل الخلود ، وتفيئ للدينا أنوار الحق والمدنية والعرفان ، وترفع في سماء
البشرية منارات الهدى والعلم والحضارة ، وتسطر في ضمير الزمن آيات المجد والقوة والعظمة
والخلود . . .

(١) من كتاب " شريعة الإسلام " للدكتور القرضاوي ص ٢٠ .

ومما يؤكد - يا شباب - صلاحية هذه الشريعة ، واتصافها بالتجدد والخلود ، وإيفاءها بحاجات الأمم والشعوب في كل زمان ومكان ، مما يؤكد هذا كله ^(١) :

(أ) شهادة الواقع ممثلة بأحدث النظريات القانونية .

(ب) شهادة المؤتمرات الدولية .

(ج) شهادة المنصفين من علماء الغرب .

أما شهادة الواقع :

بجلود الشريعة وصلاحتها فإن النظريات القانونية التي يباهي بها العصر الحديث ، وتفتخر بها الفلسفات القانونية قد سبقت بها الشريعة وأرست قواعدها ، وقام على ذلك فقها وتشريعا وقضاؤها قبل أربعة عشر قرناً ، وقد عرض القانوني الكبير الأستاذ عبد القادر عودة - رحمة الله وإخوانه الشهداء - في مقدمة الجزء الأول من كتابه القيم " التشريع الجنائي في الإسلام " طائفة من النظريات والمبادئ التشريعية التي لم تعرفها القوانين الوضعية إلا أخيراً .

* من هذه النظريات : " نظرية المساواة " التي جاءت بها الشريعة من وقت نزولها ، بنصوص صريحة تقررها وتفرضها فرضاً ، وبصفة مطلقة ، بلا قيود ولا استثناءات ، فلا امتياز لفرد على فرد ولا لجماعة على جماعة ، ولا لجنس على جنس ، ولا للون على لون، ولا لحاكم على محكوم . . والشعار في ذلك قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [الحجرات : ١٣] .

هذا على حين لم تعرف القوانين الوضعية هذه النظرية إلا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، وهي مع هذا تطبقها تطبيقاً محددًا ، بالنسبة إلى الشريعة التي توسعت في تطبيق النظرية إلى أقصى حد .

(١) البحث مقتبس من كتاب " شريعة الإسلام " للدكتور القرضاوي ص ٨٩ .

* ومن هذه النظريات : " نظرية الحرية " التي قررتها الشريعة في أروع صورها ، فقررت حرية التفكير ، وحرية الاعتقاد ، وحرية القول .

وساق الشهيد عودة رحمه الله من النصوص الدالة على هذه الحرية ما يملأ النفس والعقل .

* ومن ذلك : " نظرية الشورى " التي نزل بها القرآن الكريم منذ عهده المكي ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ ، وأمدّها في المدينة بقوله ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ .

وقد سبقت الشريعة القوانين الوضعية في تقرير مبدأ الشورى بأحد عشر قرناً ، حيث لم تأخذ القوانين به إلا بعد الثورة الفرنسية ، ما عدا القانون الإنجليزي ، فقد عرف مبدأ الشورى في القرن السابع عشر ، وقانون الولايات المتحدة الذي أقر المبدأ بعد منتصف القرن الثامن عشر .

* ومن ذلك أيضاً : " نظرية تقييد سلطة الحاكم " وهي تقوم على ثلاثة مبادئ أساسية :

أولها : وضع حدود لسلطة الحاكم .

ثانيها : مسؤوليته عن عدوانه وأخطائه .

ثالثها : تخويل الأمة حق عزله .

وقد جاءت هذه النظرية بهذه المبادئ الثلاثة في وقت كانت سلطة الحكام في العالم كله سلطة مطلقة على الحكوميين ، فكانت شريعة الإسلام أول شريعة تقيّد هذه السلطة، وتلزم الحاكمين أن يتصرفوا داخل حدود معينة ، وضمن دائرة خاصة ، ليس لهم أن يتجاوزوها وإلا لم يكن لهم سمع ولا طاعة .

* ومن ذلك جملة نظريات في الإثبات والتعاقد :

- مثل نظرية إثبات الدّين بالكتابة صغيراً كان الدّين أو كبيراً .

- ومثل نظرية حق المتزّم في إملاء العقد لأنه أضعف الطرفين المتعاقدين .

- ومثل نظرية تحريم الامتناع عن تحمل الشهادات أو عن أدائها . .

وهذه النظريات كلها بعض ما اشتملت عليه الآية ^(١) الكريمة المعروفة بآية المداينة من أحكام وتوجيهات .

ومن التفريع على ما ذكرناه من نظريات : أن كثيراً من الأحكام والنظريات التي جاءت بها الشريعة الإسلامية من أربعة عشر قرناً ، وكان في وقت ما موضع ارتياب أو اتهام من خصوم الشريعة ، لم تجد البشرية بدءاً من اللجوء إليها ، تحقيقاً للعدل ، ورفعاً للضرر والظلم عن الأفراد والمجتمعات ، وأبرز مثل لذلك مبدءان مشهوران هما :

(أ) الطلاق : الذي اضطرت دول الغرب كافة إلى الاعتراف به ، وآخرها تلك الدولة الكاثوليكية العريقة وهي إيطاليا ، وقد عقد في لاهاي سنة ١٩٦٨ مؤتمر للقانون الدولي الخاص (الدورة الحادية عشرة) ، فكان مما تناوله البحث : إعداد معاهدة الاعتراف بالطلاق والتفريق القانوني على المستوى الدولي ^(٢) وهذا معناه الرجوع إلى حكم الإسلام .

(ب) الربا : الذي زعموا في وقت من الأوقات أن عجلة الحياة الاقتصادية لا تدور إلا به ، حتى قام من كبار الاقتصاديين في الغرب من ينقض فكرة الربا من أساسها باسم العلم والاقتصاد نفسه ، لا باسم الدين والإيمان ، ولعل أشهر اسم يذكر في هذا الصدد هو اسم الاقتصادي البريطاني الشهير (كينز) الذي قرر أن المجتمع لا يصل إلى العدالة الكاملة إلا بالقضاء على سعر الفائدة . وكذلك الدكتور (شاخنت) الألماني الذي يقول: " بعملية رياضية (غير متناهية) يتضح أن جمع المال صائر إلى عدد قليل من المرابين .. " ^(٣) .

ومن الخير أن يرجع في ذلك إلى كتابات الدكتور عيسى عبده ، والدكتور أحمد النجار ، وكتاب (اقتصادنا) للأستاذ محمد باقر الصدر ، والمباحث الاقتصادية التي كتبها العلامة الجليل أبو الأعلى المودودي ، ففيها بيان وشفاء .

(١) الآية يطولها مثبتة في سورة البقرة آية : ٢٨٢ .
(٢) انظر مدى الحاجة إلى موسوعة الفقه الإسلامي للدكتور جمال الدين عطية ص ١٤٥ .
(٣) ارجع إلى الظلال " المجلد الأول " آية { الذين يأكلون الربا .. } من سورة البقرة .

أما شهادة المؤتمرات الدولية على صلاحية الشريعة الإسلامية وخلودها فحسبنا أن نذكر

المؤتمرات الدولية التالية :

(أ) ففي مدينة لاهاي سنة ١٩٣٧ انعقد مؤتمر دولي للقانون المقارن دُعي إليه الأزهر الشريف ،
فمثله مندوبان من كبار العلماء ، حاضرا فيه عن " المسؤولية المدنية والجناحية في الشريعة الإسلامية " ،
وعن " استقلال الفقه الإسلامي ، ونفي كل صلة مزعومة بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني " .
وقد سجل المؤتمر على أثر ذلك قراره التاريخي الهام ، بالنسبة إلى رجال التشريع الغربي ، وقد جاء
فيه :

١- اعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر التشريع العام .

٢- وأنها حيّة قابلة للتطور .

٣- وأنها شرع قائم بذاته ليس مأخوذاً عن غيره ^(١) .

(ب) وفي نفس المدينة - لاهاي - سنة ١٩٤٨ ، انعقد مؤتمر الحامين الدولي الذي اشتركت فيه

(٥٣) دولة من أنحاء العالم ، والذي ضم جمعاً غفيراً من الأساتذة والحامين اللامعين من مختلف الأمم

والأقطار .

اتخذ هذا المؤتمر القرار التالي : " نظراً لما في التشريع الإسلامي من مرونة ، وما له من شأن هام ،

يجب على جمعية الحامين الدولية ، أن تتبنى الدراسة المقارنة لهذا التشريع ، وتشجع عليها ^(٢) .

(ج) وفي سنة ١٩٥٠ عقدت شعبة الحقوق الشرقية من المجتمع الدولي للحقوق المقارنة مؤتمراً

للبحث في الفقه الإسلامي في كلية الحقوق من جامعة باريس . تحت اسم (أسبوع الفقه الإسلامي) .

ودعت إليه عددًا كبيراً من أساتذة كليات الحقوق العربية ، وغير العربية ، وكليات الأزهر الشريف .

ومن الحامين الفرنسيين والعرب وغيرهم من المستشرقين . وقد اشترك فيه أربعة من مصر من الأزهر

(١) من كتاب التشريع الإسلامي للأساتذة : السائيس ، والسبكي ، والبربري ص ٣٥٣ .

(٢) المدخل الفقهي للأستاذ مصطفى الزرقاء جزء (١) ص ٢٤٥ .

والجامعات ، واثنان من سوريا ، وقد دارت المحاضرات حول موضوعات فقهية خمسة ، عينها المجتمع الدولي قبل عام ، ووجهت الدعوة إلى المحاضرة فيها وهي :

١- إثبات الملكية .

٢- الاستملاك للمصلحة العامة .

٣- المسؤولية الجنائية .

٤- تأثير المذاهب الاجتهادية بعضها في بعض .

٥- نظرية الربا في الإسلام .

وكانت المحاضرات كلها باللغة الفرنسية ، وخصص لكل موضوع يوم ، وعقب كل محاضرة كانت تفتح مناقشات مهمة مع المحاضر وفي خلال بعض المناقشات وقف أحد الأعضاء ، وهو نقيب سابق للمحامين في باريس فقال : " أنا لا أعرف كيف أوفق بين ما كان يحكى لنا عن جمود الفقه الإسلامي ، وعدم صلوحه أساساً تشريعياً يفني بحاجات المجتمع العصري المتطور ، وبين ما نسمعه الآن في المحاضرات ومناقشات ها ، مما يثبت خلاف ذلك تماماً ببراهين النصوص والمبادئ " . وفي الختام وضع المؤتمرون بالإجماع هذا التقرير الذي نترجمه بما يلي :

" بناءً على الفائدة المتحققة من المباحثات التي عرضت أثناء أسبوع الفقه الإسلامي " وما جرى

حولها من المناقشات التي تخلص منها بوضوح :

١ - إن مبادئ الفقه الإسلامي لها قيمة " حقوقية تشريعية " لا يمارى فيها .

٢ - إن اختلاف المذاهب الفقهية في هذه المجموعة العظمى ينطوي على ثروة من المفاهيم

والمعلومات ، ومن الأصول الحقوقية وهي مناط الإعجاب ، وبها يتمكن الفقه الإسلامي أن يستجيب

لجميع مطالب الحياة الحديثة ، والتوفيق بين حاجاتها . .^(١) في هذه الشهادات من المؤتمرات العالمية

المتخصصة كفاية في صلاحية هذه الشريعة وخلودها على مدى الأيام .

(١) الترجمة للأستاذ مصطفى الزرقاء في مقدمة كتابه " المدخل الفقهي العام " .

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل

شيء شهيد ﴾ ؟ [فصلت : ٥٣] .

أما شهادات المنصفين في العالم على خلود الشريعة الإسلامية وصلاحيتها فإنها أعظم من تحصى وأكثر من أن تستقصى ، هذه الشهادات ليست من رجال الأزهر ، وعلماء الإسلام ، وأساتذة الفقه في الجامعات ، وإنما هي شهادات من كبار رجال القانون الوضعي الذين رضعوا من لبنه ، وترعرعوا في أحضانه ، وهي شهادات معللة تحمل في عباراتها براهين صدقها ، معترفة بفضل الشريعة وسبقها وتفوقها . .

ولا بأس أن نسوق هنا بعض شهادات هؤلاء الذين لا يزالون يثقون بالفكرة إذا هبت ريحها من جهة الغرب :

- يقول الدكتور " إيزكو انساباتو " : (إن الشريعة الإسلامية تفوق في كثير من مجوئها الشرائع الأوربية ، بل هي التي تعطي للعالم أرسخ الشرائع ثباتاً) .

- ويقول العلامة الأستاذ " شبرل " عميد كلية الحقوق بجامعة " فينا " في مؤتمر الحقوق سنة ١٩٢٧ : " إن البشرية لتفخر بانتساب رجل كمحمد صلى الله عليه وسلم إليها ، إذ رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون، لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة " .

- ويقول الفيلسوف الإنجليزي " برنارد شو " : " لقد كان دين محمد موضع تقدير سامٍ لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة، وأنه الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة ، وأرى واجباً أن يدعى محمد منقذ الإنسانية ، وأن رجلاً كشاكلته إذا تولى زعامة العالم الحديث فسوف ينجح في حلّ مشكلاته " .

- ويقول المؤرخ الإنجليزي " ويلز " في كتابه " ملامح تاريخ الإنسانية " : " إن أوروبا مدينة للإسلام بالجانب الأكبر من قوانينها الإدارية والتجارية " .

- أما المؤرخ الفرنسي " سيديو " فيؤكد : " أن قانون نابليون منقول عن كتاب فقهي في مذهب الإمام مالك هو شرح الدردير على متن خليل " .

- ونقل " غوستاف لوبون " عن الأستاذ " لييري " قوله : " لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا الحديثة عدة قرون " .

- ويقول " لين بول " في كتابه " العرب في أسبانيا " : " فكانت أوروبا الأمية تزخر بالجهل والحمران بينما كانت الأندلس تحمل إمامة العلم ، وراية الثقافة في العالم " .

إن هذه الأقوال وأقوالاً كثيرة غيرها تشهد بجلاء على ما انطوت عليه شريعة الإسلام من ثروة قانونية وتشريعية ، وقوة دفع علمية وحضارية . . والفضل كل الفضل ما اعترف به المنصفون ، وشهد به الأعداء . .

شهد الأنام بفضله حتى العدا والفضل ما شهدت به الأعداء

ونخلص مما تقدم - يا شباب - إلى أن هذا القرآن العظيم الذي به تهتفون ، وبالرجوع إلى هديه وحكمه تنادون . . هو السبيل إلى تحقيق النصر والكرامة ، وهو الطريق إلى توطيد دعائم الأمن والاستقرار ، ويوم أخذت بمبادئه وتعاليمه أمتكم الإسلامية في القرون الماضية وصلت إلى قمة السيادة والمجد ، وملكت في العالم زمام الحضارة والعلم ، وبقيت أوروبا قروناً طويلة ترتشف من معين الحضارة الإسلامية ، وتستقي من سلسبيل العلوم والمعارف التي نبغ فيها المسلمون . . حتى استطاعت أن تصل إلى قمة الحضارة المادية ، والعلوم الكونية في العصر الحديث .

ولولا أن يكون إسلامكم - يا شباب - دين علم ، وقرآنكم مبعث مجد ، وتعاليم دينكم آية نهضة . . لما سمعتم في التاريخ عن جدود عباقرة ، وآباء نبغاء ، فرضوا المعرفة ، وكراموا الإنسان ، وأرسوا قواعد المدنية والحضارة ، وملئوا الدنيا معارف وعلومًا . . وما زالت أسماء هؤلاء العباقرة

الأفذاذ تتردد على السنة الشرق والغرب عبر القرون . . وما زالت الأجيال تتغنى بعلومهم ، وتفتخر
بنبوغهم ، وتتناقل أخبارهم على مدى الزمان .

وأذكر لكم على سبيل المثال بعض العباقرة الأفذاذ واختصاصاتهم العلمية وهم :

- ابن خلدون الذي حمل إلى الإنسانية لواء التاريخ وعلم الاجتماع والعمران . .

- وأبو زكريا الرازي الذي حمل إلى الإنسانية لواء الطب . .

- وأبو علي بن سينا الذي حمل إلى الإنسانية لواء الفلسفة . .

- والشريف الإدريسي الذي حمل لواء الجغرافية . .

- وأبو بكر الخوارزمي الذي حمل لواء الرياضيات والفلك . .

- وعلى بن الهيثم الذي حمل لواء علم الطبيعة والبصريات . .

- وأبو القاسم الزهراوي الذي حمل لواء علم الجراحة . .

- وأبو زكريا العوام الذي حمل لواء علم النبات . .

- وأبو البناء الذي حمل لواء علم الحساب . .

- وأبو الريحان البيروني الذي حمل لواء علم التاريخ القديم والآثار . .

- والإمام الغزالي الذي حمل لواء النقد ومعالجة آفات النفوس . .

- والأئمة : مالك وأبو حنيفة والشافعي وابن حنبل الذين حملوا أمانة الفقه والقانون . .

- وألاف غيرهم تقرأ في التاريخ أخبارهم ، ويتكلم المنصفون من علماء ومستشرقين عن آثارهم

العلمية التي خلفوها ، وعن تآليفهم الفلسفة والكونية التي تركوها . . وما زال العالم يستقي من بحر

معارفهم . ويرتشف من معين علومهم وآثارهم . .

أولئك آباي فجنني بمثلهم إذا جمعنا يا جرير الجامع

أعلنوا - يا شباب - على مسامع الدنيا " القرآن دستورنا " ، ولا حرج في هذا الهتاف ، وفي ذلك الشعار ، عسى أن تفيق أمتكم فتستعيد مجدها الدائر ، وعزتها الضائعة ، ودولتها المهيضة . . وما ذلك على الله بعزيز :

﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾ * الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ [الحج : ٤٠ ، ٤١] .

(د) أتدرون ما هو التحقق بشعار : " والجهاد سبيلنا " ^(١) ؟

هو أن تبدلوا كل جهودكم ، وكل ما في وسعكم . . لإقامة حكم الله في الأرض ، وإزالة الطواغيت التي تقف في طريق الدعوة التي بها تؤمنون .

والجهاد - يا شباب - في نظر الإسلام أنواع :

- ١- الجهاد المالي .
- ٢- الجهاد التبليغي .
- ٣- الجهاد التعليمي .
- ٤- الجهاد السياسي .
- ٥- الجهاد القتالي .

وسأتي على ذكر كل نوع من هذه الأنواع بشيء من التفصيل عسى أن تعلموا مهمتكم الكبرى التي خلقت من أجلها ، وكلفكم الله سبحانه بها :

أما الجهاد المالي فهو العصب الحساس لكل جهاد يقوم به الشباب في الحياة سواء أكان الجهاد تبليغاً أم تعليماً ، وسواء أكان سياسياً أم حربياً . . .

(١) اقتبست كثيراً من أفكار هذا البحث وعناوينه من كتاب " جند الله ثقافة وأخلاقا " للأخ الداعية المجاهد العلامة الأستاذ سعيد حوى حفظه الله وفرج عنه وأدامه ذخراً للإسلام والمسلمين .

فالجهد التبليغي يحتاج إلى مال من أجل الكتب ، والنشرات ، والجرائد ، والمجلات ، وتأمين وسائل
المواصلات .. و .. و ..

والجهد التعليمي يحتاج إلى مال من أجل تأمين المعلمين المفرغين ، والأساتذة المستأجرين ،
والكتب الشرعية اللازمة .. و ..

والجهد السياسي يحتاج إلى مال لإيجاد وسائل القوة ، والمتفرغين الاختصاصيين ..

والجهد الحربي يحتاج إلى مال لتأمين السلاح ، والعتاد والذخائر .. بما يتناسب مع أسلحة
العصر ..

إن الجهاد بكل أنواعه يتعطل إذا لم يتحقق الجهاد المالي بسخاء ، وإذا لم يقيم أهل اليسار بواجب
الإنفاق في سبيل الله .. لهذا كله قرن الله سبحانه الجهاد بالمال والجهاد بالنفس في كثير من الآيات
القرآنية :

- ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ [التوبة : ١١١] .

- ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل
الله ﴾ [الحجرات : ١٥] .

﴿ انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ﴾ [التوبة : ٤١]

وروى الترمذي والنسائي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من أنفق نفقةً في سبيل الله
كُتبت له بسبعمئة ضعف " .

وللسته إلا مالكا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من جهز غازياً في سبيل الله
فقد غزا ، ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا " .

وإذا كان الجهاد المالي هو العصب الحساس لكل جهاد فعلى القائمين من المسلمين بأمر الجهاد أن
يعرفوا كيف يؤمنون المال اللازم لمشاريعهم الجهادية المستقبلية .. وعليكم أنتم - يا شباب - مسؤولية

البذل والإنفاق ، لتتحقق لأمتكم العزة الإسلامية في الأرض ، فأنفقوا مما جعلكم الله مستخلفين فيه ،
والله سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملا .

أما الجهاد التبليغي فهو تبليغ الإسلام باللسان ، وإقامة الحججة بأن دعوة الإسلام حق على الكافرين
والمنافقين والملحدين والمنحرفين من المسلمين . .

والجهاد التبليغي مكلف به كل مسلم ، كل على حسب مستواه وبيئته وعمله ووظيفته . .

قال عليه الصلاة والسلام : " بلغوا عني ولو آية " وقال الله سبحانه :

﴿ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً ﴾

[الأحزاب : ٣٩] .

إذن كل المسلمين مكلفون بتبليغ الدعوة ليعرفها كل إنسان ، وتقوم الحججة عليه بها ، في أرض

الإسلام ، وفي أرض الكفر على حد السوء ، قال تعالى :

- ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لئبينه للناس ولا تكتمونه . . ﴾ [آل عمران :

[١٨٧] .

وقال سبحانه : ﴿ كتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون

بالله ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وانطلاقاً مما أوردناه من نصوص ، وجب على العالم أن يبلغ الدعوة في بلده ، والمعلم في تدريسه ،

والطالب في مدرسته ، والموظف في ديوانه ، والعامل في معمله ، والتاجر في سوقه ، والأب في أسرته ،

والمرأة في بيت زوجها وبين بنات جنسها . .

قال تعالى : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر،

ويقومون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾

[التوبة : ٧١] .

وفي عملية الجهاد التبليغي يجب عليكم - يا شباب - أن تلاحظوا الأمور التالية :

١- البدء بالأهم فالمهم : البدء في الدعوة بالعقيدة قبل العبادة ، وبالعبادة قبل مناهج الحياة ، وبالكليات قبل الجزئيات ، وبالتكوين الفردي قبل الخوض في غمار السياسة . . .
وهذه الطريقة في الدعوة هي طريقة النبي صلى الله عليه وسلم . وطريقة أصحابه رضي الله عنهم :

أخرج الستة إلا مالكا عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن قال : إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم ، فإذا أطاعوك بها فخذ منهم ، وتوق كرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب .
وأخرج مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه : " ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة " .

٢- الصبر على الأذى : من وسائل الدس التي ينتهجها أعداء الإسلام في محاربة الإسلام تشويه سمعة الدعوة ، واتهامهم بالانتهاكات الكاذبة التي تحط من شأنهم ، وتقلل من اعتبارهم . . فعلى الداعية ألا يكثر للحرب الدعائية في تشويه السمعة ، وتوجيه التهمة . . وحسبه أن يتأسى بسيد الدعوة صلوات الله وسلامه عليه الذي أصابه من الأذى والمكروه والانتهاج ما لم يصب داعية قبله ولا بعده ، فاتهموه أنه ساحر ، واتهموه أنه شاعر ، واتهموه أنه مجنون ، واتهموه أنه كذاب . . . ومع ذلك كله لم يبال بسبهم ، ولم يكثر باتهامهم واستهزائهم . . بل أعطى للدعاة من بعده المثل الأعلى في الصبر والتحمل والثبات والصمود . . إلى أن جاء نصر الله والفتح . . ولا شك أن من سنة الله في الأنبياء والمصلحين والدعاة إلى الله أن يتعرضوا في تبليغهم لأنواع الابتلاء والاضطهاد ، وأصناف المحن والشدائد . . . قال تعالى :

- ﴿ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ * ولقد قَتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ،
فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿ [العنكبوت : ٣ - ١] .

وقال عز من قائل : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ ، وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِ
الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزَلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ ؟ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿
[البقرة : ٢١٤] .

وقال القرآن على لسان لقمان وهو يعظ ابنه : ﴿ يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿ [لقمان : ١٧] .

- وروى الترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم عن سعد بن أبي وقاص قال : قلنا يا رسول
الله : أي الناس أشد بلاء قال : " الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يُبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان
دينه صلِّبًا اشتد بلاءه ، وإن كان في دينه رقة ابتلاه الله على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى
يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة " .

- وروى مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " حفت الجنة
بالمكاره ، وحُفَّت النار بالشهوات " .

- وروى البخاري في صحيحه أنه لما اشتد إيذاء قريش على ضعفاء المؤمنين جاءوا إلى النبي
صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة يقولون : ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعونا لنا ؟ فقال
لهم النبي صلى الله عليه وسلم : " قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ،
فيؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ، فما
يصرفه ذلك عن دينه ، والله ليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف
الله والذُّبَّ على غنمه ، ولكنكم تستعجلون " .

فما عليكم - يا شباب الدعوة - إلا أن توطدوا أنفسكم على الصبر ، وأن تعودوها على التحمل والتضحية والثبات . . . حتى تصلوا في النهاية إلى الصبر ، وتدخلوا الجنة مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . .

٣- دراسة البيئة التي يتم فيها تبليغ الدعوة : يجب على من يقومون بواجب الجهد التبليغي أن يدرسوا المكان الذي تبلغ فيه الدعوة ، وأن يعرفوا مراكز الضلال ، ومواطن الانحراف . . وأسلوب العمل الذي يتفق مع عقلية الناس ، واستعداداتهم ومستوى تفكيرهم ، ومبلغ استجابتهم وتقبلهم . . فبلد انتشرت فيه الشيوعية أو الوجودية أو الماسونية . . مثلاً ، وأصبحت عند أهله انحرافات فكرية وعقيدية وخلقية . . مثل هذا البلد تختلف الكتب التي ينبغي أن تنشر فيه ، ونوعية المحاضرات ، ونوعية المحاضرات التي تحاضر فيه ، وموضوعات المناقشات التي تطرح فيه . . تختلف كلياً عن بلد فيه نصارى ، وفيه أفكار رأس مالية ، وفيه نزعة إلى الحرية والديمقراطية . .

لابد إذن من دراسة مركزة واعية لأنواع الانحراف .

ولابد من معرفة شاملة للمنحرفين .

ولابد من تخطيط شامل وأسلوب مناسب ، منسجم مع هذا وذاك .

ولابد من عمل متواصل دائم لتبليغ الدعوة إلى الناس كافة .

ولعلّ المسارعة إلى إصلاح عيوب المسلمين ، وتكميل نقصهم ، وتوحيد جهودهم ، وجمع كلمتهم

هي البداية في كل جهاد تبليغي دعوي . .

ومن وسائل الجهاد التبليغي :

(أ) نشر الكتاب الإسلامي .

(ب) نشر المجلة والجريدة والنشرة . . الإسلامية .

(ج) الخطابة ، والمحاضرة ، والدرس العام في المسجد والبيت . .

(د) الدعوة الفردية والزيارات والرحلات والحلقات التعليمية . .

(هـ) إقامة مسرحيات تاريخية واجتماعية هادفة . .

هذه بعض النماذج على وسائل الجهاد التبليغي ، ولكن المسألة ليست منحصرة فيما ذكر . .
فقد يتقدح في ذهن الداعية من الوسائل التبليغية ما يحقق الخير للقرية أو للبلد . . ما لم يتقدح في ذهن
داعية آخر ، فالمهم أن يفكر الدعاة ، وأن ينطلق الشباب ، وأن يكونوا على مستوى المسؤولية ، وأن
يبرهنوا للناس كلهم أنهم الدعاة الصادقون المخلصون الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ، ولا تزلزلهم المحن
مهما اشتدت ، ولا تعصف بهم النكبات مهما عصفت ما داموا يعملون في سبيل الله ونصرة دينه ،
وإعلاء كلمته !! . .

أما الجهاد التعليمي فهو بذل الجهد في تكوين المسلم المستجيب علمياً وثقافياً وفكرياً . . لتكون
عنده في النهاية الثقافة الإسلامية الشاملة ، والتصور الصحيح عن فكرة الإسلام الكلية عن الكون والحياة
والإنسان . .

١- والأصل في هذا الجهاد ما روى الطبراني في الكبير عن بكير بن معروف عن علقمة . . قال :
خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، فأثنى على طوائف من المسلمين خيراً ثم قال : " ما
بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ، ولا يأمرونهم ، ولا ينهونهم . . وما بال أقوام لا
يتعلمون من جيرانهم ، ولا يتفقهون ، ولا يتعظون ، والله ليعلمن قوم جيرانهم ، ويفقهونهم ، ويعظونهم ،
ويأمرونهم ، وينهونهم ، وليتعلمن قوم من جيرانهم ، ويتفقهون ، ويتعظون أو لأعاجلنهم العقوبة " ثم نزل
عليه الصلاة والسلام ، فقال قوم : منْ عنى بهؤلاء ؟ قال : الأشعرين هم قوم فقهاء ، ولهم جيران جفافة
من أهل المياه والأعراب ، فبلغ ذلك الأشعرين ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا
رسول الله : ذكرت قوماً بخير ، وذكرتنا بشر ، فما بالنا ؟ فقال : " ليعلمن قوم جيرانهم ، وليعظنهم ،
وليأمرنهم ، ولينهونهم ، وليتعلمن قوم من جيرانهم ، ويتعظون ، ويتفقهون أو لأعاجلنهم العقوبة في الدنيا " .
فقالوا يا رسول الله : أنفطن^(١) غيرنا ، فأعاد قوله عليهم ، فأعادوا قولهم : أنفطن غيرنا ؟ فقال : ذلك

(١) أنفطن : أنفهم .

أيضاً ، فقالوا أمهلنا سنة ، فأمهلهم سنة ليفقهوهم ، ويعلموهم ويعظوهم ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية :

﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ [المائدة : ٧٨ ، ٧٩] .
وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " تناصحوا في العلم فإن خيانة أحدكم في علمه أشد من خيائه في ماله ، وأن الله مسائلكم " .
وفي الآية الكريمة قوله تعالى :

- ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ [التوبة : ١٢٢] .
ويقول الإمام الغزالي في إحيائه : (وواجب أن يكون في كل مسجد أو محلة من بلد فقيه يعلم الناس دينهم ، وكذا في كل قرية ، ووجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه ، وتفريغ لفرض الكفاية أن يخرج إلى من يجاور بلده من أهل السواد ، ومن العرب والأكراد وغيرهم . . ويعلمهم دينهم ، وفرائض شرعهم . .) .

٢- والمسلم الداعية لا يمكن أن يقوم بالجهاد التعليمي على الوجه الأكمل حتى يأخذ حظه الوافر من الكتاب والسنة ، وكلما كان حظه من ذلك أكبر كانت ثقافته الإسلامية أعلى وأشمل . .
٣- ولما كان كل مسلم لا يستطيع أن يرجع بنفسه إلى علوم القرآن والسنة ، فعلى الداعية الشاب أن يتلمذ في تلقي علم التوحيد ، والتفسير ، والفقه ، والحديث ، والأصول . . على علماء أكفاء . . حتى إذا أكمل علمياً ، ونضج ثقافياً . . قام بواجبه الكبير في تعليم الناس وإرشادهم ونصحهم وتوجيههم . . لأن فاقده الشيء لا يعطيه أبداً .

٤- ولما كان التاريخ الإسلامي ، والسيرة النبوية ، وأخبار السلف . . الصورة الحية لواقع المسلمين خلال العصور ، كان لابد للشباب المسلم أن يأخذ حظه العظيم من دراسة ذلك حتى يتأسى

بمن سبق ، ويستفيد من تجارب من غير ، ويسير في دروب الجهاد على هدى وبصيرة وصراف مستقيم . .

٥- ولما كان المسلم مطالبًا بالاهتمام بأمر المسلمين للتوجيه النبوي القائل : " من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم " . كان لزامًا على الشباب المسلم أن يعرف شيئًا عن حاضر العالم الإسلامي ، وأحوال المسلمين ، كما ينبغي عليه أن يعرف أطراف المؤامرات على الإسلام وأبعادها ، حتى يستطيع تجنب الوقوع في شباكها ، وتخليص أمة الإسلام منها .

٦- وعلى الشباب الداعية ألا يتعاس عن التعليم بحجة أنه غير مكتمل ثقافيًا ، وناضح علميًا . . بل عليه أن يعلم ما تعلمه دون تعاس أو تقصير ، ولقد ذكر الفقهاء : " أن من تعلم مسألة فقد أصبح فقيهاً فيها ، وعليه تعليمها " ، ولا شيء يساعد على نشر العلم من أن يتخذ الدعاة هذه القاعدة شعاراً : (علّم ما تعلمت) لأنهم إن فعلوا ذلك ثبتوا ما تعلموه ، وأفادوا غيرهم ، ونشروا العلم في كل مكان . . لأن القاعدة عند علمائنا " أن الذي لا يعلم حتى يتم تعليمه ، لن يتعلم أبدًا " .

٧- ولا يجوز لأي عالم أو أي داعية أن يكتم شيئاً من العلم إرضاء للحكومات الطاغية . . لأن في ذلك إماتة للحق ، وتمكيناً للباطل ، وهدماً لمبادئ الإسلام ونقضاً لعراه عروة عروة . . والله سبحانه يقول :

﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ [البقرة : ١٥٩] .

ويقول : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ، ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم . . ﴾ [البقرة : ١٧٤] .
وروى أبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار " .

وروى الحاكم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
"من أرضى سلطاناً بما يُسخط ربّه خرج من دين الله " .

ومن وسائل الجهاد التعليمي :

(أ) فتح دورات تعليمية : مدة الدورة تقدر تبعاً لأحوال المشتركين فيها ، وأجود ذلك أربعون يوماً ، قال عمر رضي الله عنه لرجل : أين كنت ؟ قال : في الرباط (أى الجهاد) قال : كم رابطت ؟ قال : ثلاثين يوماً ، قال : فهلا أتممت أربعين ! . . . ولعل هذا التوقيت مستفاد من قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿ فتم ميقات ربه أربعين ليلة ﴾ [الأعراف : ١٤٢] .

وفي حالة تقرير الدورة ينبغي أن تعد برامجها وأساتذتها ومواعيدها وأعمالها . . بحيث يخرج المسلم منها وقد أخذ الشيء الكثير في تكوينه روحياً وعلمياً . . وقد لا تكفي دورة واحدة لأخذ الثقافة الإسلامية ، فيعقب ذلك دورات وحلقات في البيت أو المسجد .

(ب) المطالعة الشخصية : ولا سيما الكتب الواضحة العبارة ، السهلة الأسلوب . . فقد قالوا : " واللبيب يكفي الكتاب في ترقّيه " ، وقالوا : " وتكفي الكتب عن شيخ التعليم للبيب حاذق يعرف موارد العلم " .

(ج) المذاكرة الثنائية بين اثنين : لما للمذاكرة من أثر كبير في فهم النصوص ، وتثبيت المعلومات والتعاون على حل المعضلات . . فقد قالوا : " مذاكرة سطرين أفضل من قراءة وقرئين " ^(١) .

(د) فتح المدارس الشرعية : ولم تزل هذه سنة متبعة خلال العصور لتخريج مسلمين علماء ، ومبلغين دعاة . . فيجب على من يهمهم أمر الإسلام في هذا العصر أن يكثر من هذه المدارس ، ولن يعدموا الوسائل في تحقيقها ، والله من وراء القصد .

(هـ) حلقات التعليم المفتوحة في المساجد : كان أبو الدرداء رضي الله عنه يعلم القرآن في كل يوم بجامع دمشق من طلوع الشمس إلى الظهر ، ويقسم المتعلمي ن عشرة عشرة ، ويعين لكل عشرة عريفاً

(١) الوقر : الحمل الثقيل والمعنى : أفضل من قراءة حملين من الكتب المكتسبة .

يعلمهم القرآن ، وهو يشرف على الجميع يراجعونه إذا غلطوا . وكان أبو موسى الأشعري يطوف في مسجد البصرة فيقعدهم حلقة حلقة يقرئهم القرآن الكريم .

أرسل عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم : (انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه ، فإني خفت ذهاب العلم ، وذهاب العلماء ، ولا تقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم وليفشوا (أي العلماء) العلم وليجلسوا حتى يتعلم من لا يعلم ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرّاً) . وللشيوخ في حلقات العلم المسجدية طرق : فمنهم من يدرس يوميًا في مسجد معين في ساعة معينة يقرأ ليلة تفسيرًا ، وليلة حديثًا ، وليلة فقهاً ، وليلة سيرة وهكذا . . .

ومنهم من يدرس يومًا فيومًا دروسًا متنوعة .

ومنهم من يختص بتدريس مادة واحدة .

ومنهم من ينشئ في مسجده حلقات ذات مناهج ومراحل . لكل مرحلة حلقتها ودراستها . .
والوسائل لإيصال الثقافة الإسلامية إلى الناس كثيرة ، وما دام العاملون في سبيل الإسلام مخلصين ، فإنهم لا يعدمون الوسائل التي توصل المتعلمين إلى الثقافة الشاملة وما أكثرها ! ! . . والمهم في هذا كله ملاحظة التكامل في هذه الثقافة ، لأن أي نقص في الثقافة الإسلامية يعرض المسلم لخطر الانحراف ، والوقوع في حبال الضلال وهو يحسب أنه يحسن صنعًا .

فما عليكم - يا شباب الدعوة - إلا أن تضطلعوا بمسئولياتكم في واجب الجهاد التعليمي تعلمًا وتعليمًا ، حتى تبصروا الجليل حقيقة الإسلام ، وحتى يتصور فكرة الإسلام الكلية عن الكون والحياة والإنسان ، والله سبحانه لن يترككم أعمالكم ، وإن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم .

أما الجهاد السياسي فهو بذل الجهد في إقامة الدولة الإسلامية على أسس من مبادئ الإسلام ، وقواعده العامة الشاملة ؛ وبالاختصار أن تكون الحاكمة في الدولة لله سبحانه وتعالى وحده .

١- ولا شك أن البلاد الإسلامية بشكل عام ، والدول العربية بشكل خاص ، تعاني من حكام منحرفين ، ومن حكومات ضالة لا تقيم للمنهج الرباني وزنًا ، ولا للنظام الإسلامي اعتبارًا . . بل أكثر

نظم هذه الحكومات ودساتيرها ، وقوانينها مستمدة من دساتير الشرق أو قوانين الغرب ، وقليل جداً من هذه الحكومات من تعتبر الشريعة الإسلامية دستور حكم ومنهج حياة . . .

٢- ولو تأملنا في هذه الحكومات المتعاقبة بعد الحرب العالمية الثانية لوجدنا أكثرها من صنائع القوى المتآمرة والحاقدة من ماسونية ماكرة واستعمار غاشم ، ويهودية خبيثة متلاعبة . .
والذي تولى كِبَرِ التَّأْمَرِ والتنفيذ " كمال أتاتورك " " وعصمت إينونو " ، وأعضاء جمعية الاتحاد والترقي ، فهم الذين قاموا على تنفيذ الجريمة ، وهم الذين فرضوا على مجلس الأمة التركي عام (١٩٢٤ م) اتخاذ القرار بإلغاء الخلافة الإسلامية ، وإعلان علمانية الدولة ، وإبعاد التشريع الإسلامي عن واقع الحياة ، وذلك بإلغاء المحاكم الشرعية، والمدارس الدينية ، والأوقاف ، وأحكام الميراث ، وجعل الأذان باللغة التركية ، بدلاً من اللغة العربية ، واستبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية ، وعطلة يوم الجمعة بالأحد . .

وانتهى ذلك كله عام (١٩٢٨ م) إلى غير ذلك من التغيرات اللادينية التي أحدثها ونفذها .
وعلى أعقاب هذه التغيرات الجذرية اعترف الإنكليز والحلفاء باستقلال تركيا، وباركوا جهود أتاتورك في إلغاء الخلافة ، وعلمنة الدولة ، ومحاربة الإسلام . . .

وكان من نتيجة إلغاء الخلافة أن تشتت البلاد الإسلامية ، وحلَّ عليها الضعف والوهن ، وأصبحت ألعوبة بيد الدول الغربية الكبرى وعلى رأسها إنجلترا وفرنسا . . واستطاعت الماسونية العالمية التي تديرها اليهودية أن تلعب دوراً كبيراً في اجتذاب أصحاب الغنى والنفوذ والجاه . . فاصطنعت منهم حكماً يأمرون بأمرها ، وينفذون مخططاتها بأساليب متنوعة ، وشعارات مطروحة متجددة باسم الوطنية حيناً وباسم التقدمية أحياناً ، وباسم القومية تارة ، وباسم الاشتراكية تارة أخرى . . عدا عن مناداتهم بتحرير العامل ، وتحرير المرأة ، وتحرير الفلاح . . إلى غير ذلك من هذه الشعارات التي ظاهرها الرحمة ، وباطنها من قبلها العذاب ؛ والتي تستهدف تحويل الجيل المسلم نحو الإلحاد والإباحية .

وقد تضافرت في هذا العصر قوى خارجية وداخلية وعالمية ومحلية . . تعمل ليل نهار لأجل هدف واحد ، وغاية واحدة ألا وهي هدم العقيدة الإسلامية من النفوس وطمس معالم الإسلام من الأرض . . .

﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ [البقرة : ٢١٧] .

وهذه القوى المتضافرة متجسدة في أعداء خمسة :

١- التبشير والاستشراق .

٢- الشيوعية الدولية .

٣- الصهيونية العالمية .

٤- الاستعمار الحاقد .

٥- العمالة للأجنبي .

ولكل قوة من هذه القوى المعادية تنظيمها وأسلوبها ووسائلها في حرب الإسلام وأهله ،

والاستيلاء على البلاد الإسلامية وشعوبها . .

٣- فإذا كانت الأحكام الإسلامية معطلة ، والوحدة الإسلامية غير قائمة . . فما على المسلمين

في كل مكان إلا أن يعلنوا شعيرة الجهاد في سبيل الله . . حتى يصلوا في نهاية الشوط إلى إقامة الحكم

الإسلامي ، وتحقيق الوحدة الإسلامية المترابطة الشاملة . . إن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ،

وما دامت أحكام الله لا تقوم ، والجهاد لا يتحقق ، والوحدة الإسلامية غير موجودة . . وجب على

المسلمين إقامة الحكومة الإسلامية في كل قطر لا يحكم فيه بشريعة الإسلام . .

وربما يفهم بعض المسلمين أن المشاركة في العمل من أجل إقامة حكم الإسلام في كل قطر هو من

قبيل فرض الكفاية إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين . . وهذا صحيح إذا كان هذا البعض من

المسلمين يكفي لإقامة الحكومة المسلمة . . أما إذا كان لا يكفي فإقامة الحكم الإسلامي فرض على كل

مسلم حتى تتم الكفاية من المسلمين في تنفيذه ووجوده .

٤- ولا يكفي تحقيق الكفاية في إقامة الحكم ، بل لابد من النظام ، ولابد من الوحدة، ولابد من تنفيذ خطة ، ولابد من إعداد أجهزة ، ولابد من تضحية . . وهذا كله يطلق عليه اسم الجهاد السياسي .

٥- إن المسلم الذي يطرح شعار عدم التدخل في قضايا السياسة ، هو أحد رجلين :

إما أنه لا يفهم الإسلام .

وإما أنه رعديد جبان .

ولو سلكنا طريق عدم التدخل في الشؤون السياسية لأخرجنا جيلاً سلبياً انهزامياً واهماً منعزلاً جباناً ضعيفاً متواكلاً . . تاركاً الدنيا للمفسدين يعيشون فيها فساداً ، وينشرون في البلاد ظلام البغي والإباحية والإلحاد . . فمصيرهم ومصير أبنائهم فيما بعد أن يكونوا في زمرة الكافرين الملحدين .

وإذا كان العمل الإسلامي يتطلب أحياناً أن يكون بعيداً عن المجالات السياسية فهذا ليس معناه أن العاملين قد طلقوا السياسة ، وإنما هي مرحلة موقوتة تدخل ضمن خطة عامة ، حتى إذا انتهت تحول الاتجاه إلى المراحل الأخرى . . حتى يتم الوصول في نهاية الشوط إلى تنفيذ حكم الله سبحانه ، وإقامة معالم دينه في الأرض .

أما أولئك الذين يفرضون على أنفسهم . وعلى من يسير معهم عدم المشاركة في العمل السياسي العام مع بقية المسلمين فهم آثمون مرتين :

مرة لأنهم لم يشاركوا ولم يعملوا .

ومرة لأنهم منعوا غيرهم من المشاركة والعمل في فريضته .

وقد يكون الشيء الذي انفردوا فيه نافلة ضيعوا من أجلها واجبات وفرائض . .

٦- وهناك فئة من المسلمين اليوم تقول : إننا اليوم في مرحلة العهد المكي ، ويعنون بهذا أن المرحلة

مرحلة تكوين وتزكية ، وليست مرحلة صراع ومجابهة ، فليس علينا أن نتدخل بالسياسة باعتبار أننا في مرحلة التكوين .

ومثل هذا الرأي باطل مرتين :

١ - في تصورهم الخاطئ للعهد المكي .

٢ - في تصورهم الخاطئ للإسلام .

أما في تصورهم الخاطئ للعهد المكي فلما توهموا أن هذه المرحلة هي مرحلة التكوين والتزكية ،
وليست هي مرحلة الصراع والمجابهة .

إن المتبع لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحياة أصحابه رضي الله عنهم في العهد المكي
يجد أن أعنف مراحل الصراع الفكري والعقدي كانت في ذلك العهد .

والآ . . لماذا تعرض النبي صلى الله عليه وسلم للأذى ؟ ولماذا عُذِّبَ بلال وعمار وياسر

وصهيب وأبو ذر ؟ ولماذا هاجر النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه إلى المدينة ؟

أليس من تحدي المشركين في عقائدهم وعاداتهم ؟

أليس من تميز الفكر الإسلامي عن الفكر الجاهلي ؟

أليس من إبطال التصور الكافر الذي كان عليه الجاهليون ؟

ثم كان الصراع مع الباطل - في هذا العهد - جزءاً من مراحل التكوين للشخصية الإسلامية .

وكيف تتكون الشخصية الإسلامية بدون صراع مع الجاهلية . وبدون التخلق بأخلاق الصبر والمصابرة

عند القيام بواجب الجهاد التبليغي ؟

وهل الصبر معناه في تصور هذه الفئة أن يقف المسلم موقفاً سلبياً انهزامياً خائراً أمام أصحاب

الدعوات الباطلة . والمبادئ الهدامة . . ويصبر بعد ذلك على سخريتهم وهزئهم وأذاهم ؟

نعم إن الأنبياء عليهم السلام كانوا يصبرون . ولكن بعد أن يتفوضوا الجاهلية . ويعرّوا الباطل .

ويبينوا الحق . ويسفها أعمال الكافرين والفاسقين . . ثم يتحملوا بعد ذلك أصناف الأذى . وأنواع

الاضطهاد بصبر وشجاعة وإيمان .

إذن فدعوى أن المرحلة المكية هي مرحلة تركية وإعداد وليست مرحلة صراع ومجابهة هي دعوى باطلة ، وتوهم خاطئ ألا فليذكر أولو الألباب !!

أما في تصورهم الخاطئ للإسلام فلما اعتقدوا أن الإسلام في هذا العهد مقصور على التكوين الروحي ، والإصلاح العقيدي . . فليس لهم أن يتدخلوا في الأمور السياسية باعتبار أن قضايا الحكم وقضايا السياسة . . لم تكن إلا في العهد المدني .

وهذا الاعتقاد وهم وخطأ لأن الإسلام قد تم واكمل ، والتشريع الإسلامي قد استقر ووضح ، وأحكام الله تعالى قد نزلت وبيّنت ، والمسلم الآن أصبح مطالباً بكل مبادئ الإسلام، لقد فرض الصيام والزكاة والحج في المدينة المنورة . . أفيرى هؤلاء أنهم غير مطالبين بهذه الأركان لأنهم في مرحلة العهد المكي ؟

فكما أنه لا يسعهم أن يتركوا الصيام والزكاة والحج ، كذلك لا يسعهم تناسي أي نظام من أنظمة الإسلام سواء كان النظام سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً أو خلقياً . . فكل ما كان من استطاعة الفرد تطبيقه ، أو باستطاعة الأمة تحقيقه يجب أن يطبق ، وأن يحقق دون تواكل أو تقاعس أو تقصير . .

أما ما كان تنفيذه من خصوصيات الدولة كإقامة الحدود الشرعية ، وتسيير البعث الحربية الجهادية . . فمُرجاً إلى ولاية الدولة الإسلامية ، لتقوم بهذه المهمات الملقاة على عاتقها .

إن أحوال المسلمين اليوم لا ينطبق عليها مرحلة العهد المكي بشكل من الأشكال لكونهم كثرة ، ويستطيعون أن يجمعوا كلمتهم على الحق والجهاد السياسي ، والإطاحة بالطواغيت الذين يحاربون الإسلام ، وينفذون مخططات الأعداء . .

ولكن أحوالهم ينطبق عليها مرحلة الردة عن الإسلام بعد الإسلام . .

فالمسلمون اليوم إذن في مرحلة العهد الدني بعد انتقال^(١) الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملائكة الأعلى تجتاحهم تيارات من الغزو الفكري لتردهم عن دينهم ، وليصبحوا كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض .. فما عليهم إلا أن ينضموا إلى جماعة المسلمين ليقفوا صفاً واحداً أمام العدو الكافر حتى يكون الدين كله لله . وحتى تتحقق الحاكمية لشريعة الإسلام وحدها ، فعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

٧- إن كل جيل من أجيال المسلمين مكلف بإقامة هذا الإسلام ديناً ودولة .. وعلى كل جيل أن يحقق الإسلام في ذاته تحقيقاً كاملاً ، وعلى كل جيل أن يهيئ من الوسائل في الجهاد السياسي ما يحقق الحاكمية لله ، وتثبيت دعائم الدولة المسلمة .. فإذا ما كان كل جيل مكلفاً ، وكل فرد مكلفاً .. فنحن أبناء هذا الجيل من المسلمين مكلفون بصرف النظر عن كوننا سنحقق كل شيء فنكون منصورين ، أو يتحقق ذلك على يد غيرنا من الأجيال المتعاقبة ، فيكفينا فخراً وشرفاً أن شاركنا في المسيرة الإسلامية وإن لم نصل إلى آخر الطريق .

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

إن الله سبحانه تعبدنا بالعمل ، ولم يتعبدنا بالنصر ، وإن كان النصر في كثير من الأحيان دليلاً على استقراغ الجهد ، وصدق النية ، ومضاء العزيمة ، وتحقيق السنن .. ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ [الروم : ٤٧] .

٨- فيا شباب : استعينوا بالصبر والصلاة ، وسيروا على بركة الله ، وحذار من اليأس فإن اليأس قاتل الرجال ، وهازم الأبطال .. حذار أن تستمعوا إلى وجهات النظر اليائسة المتهالكة التي تقول : " انتهى كل شيء وعجزنا " ، " اللهم إن هذا منكر لا نرضى به ولا نقدر على رده " " الزم حلس بيتك فليس في الجهاد فائدة " ، لقد قال سبحانه وتعالى عن هذه الزمرة اليائسة الميئسة : ﴿ قد

(١) من المعلوم أن الردة عن الإسلام تفاقم أمرها في العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وأن جماعة المسلمين بقيادة أبي بكر رضي الله عنه قد أحاطوا بها حتى عادت الحياة الإسلامية كما كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً ، أشحةً عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت ، فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحةً على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم ﴿ [الأحزاب : ١٨ ، ١٩] .

إن هذه الطائفة اليائسة عندما تتبني هذه الوجهة من اليأس والقنوط . . إنما تدلل على هلاكها قبل كل شيء ، وليس على هلاك المسلمين ، يقول عليه الصلاة والسلام: " مَنْ قَالَ هَلَكَ الْمُسْلِمُونَ فَهُوَ أَهْلُكُمُ " .

ومن كان يظن - يا شباب - أن تقوم للمسلمين قائمة لما استولى الصليبيون على كثير من البلاد الإسلامية والمسجد الأقصى ما يقارب قرناً من الزمان .

من كان يظن أن هذه البلاد ستحرر على يد البطل المغوار صلاح الدين في معركة حطين الحاسمة ، ويصبح لهم الكيان والقوة والعزة ما شرف التاريخ ؟ . .

ومن كان يظن أن تقوم للمسلمين قائمة لما خرب المغول والتار العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، وفتكوا في الأنفس والأعراض فتكاً ذريعاً ؟ حتى قيل إن جبلاً شامخاً أقامها " هولوكو " من جماجم المسلمين !! . .

من كان يظن أن بلاد الإسلام ستحرر على يد البطل المقدم " قطز " في معركة عين جالوت الحاسمة . . ويصبح للمسلمين من المجد والعظمة والرفعة ما فخرت به الأجيال ؟ .

إن التفاؤل بالنصر هو مقدمة النصر ، وإن القوة المعنوية في كل أمة هي التي تدفع شبابها ورجالها إلى تحقيق المزيد من الانتصارات الخالدة . .

وعليكم ألا تنسوا - يا شباب - أن الله سبحانه مع المتقين ، وبيده وحده تحقيق النصر ، فتقوا به ، واعتمدوا عليه ، وانصروه . . لينصركم ويثبت أقدامكم : ﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم ﴾ ﴿ وتلك الأيام نداؤها بين الناس ﴾ ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ، ونجعلهم أئمة ، ونجعلهم الوارثين ﴾ .

ومما يبشر - يا شباب - أن المستقبل سيكون للإسلام لا محالة هذا الحديث الصحيح الذي ستقرؤونه الآن :

قال عليه الصلاة والسلام : " إن أول دينكم نبوة ورحمة ، وتكون فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله جل جلاله ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة تكون فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله جل جلاله ، ثم يكون ملكاً عوضاً فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه الله جل جلاله ، ثم يكون ملكاً جبرياً فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه الله جل جلاله ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة تعمل في الناس بسنة النبي ، ويلقي الإسلام بجرانه في الأرض يرضى عنها ساكن السماء ، وساكن الأرض ، لا تدع السماء من قطر إلا صبته مدراراً ، ولا تدع الأرض من نباتها ولا بركانها شيئاً إلا أخرجه " ^(١) فالذي يبدو أن الملك العاض قد انتهى بانتهاء السلطنة العثمانية ، والآن جاء دور الملك الجبري ، ومظهره تلك الانقلابات الكثيرة التي توصل أصحابها إلى الحكم بدون رأي الأمة ، وغضباً عن إرادة الشعب ، دكتاتوريات بدأها " أتاتورك " في تركيا ، وتتابعت في كل مكان ، ولكن دلائل اليقظة الإسلامية تبشر بأن ذلك لن يطول أبداً ، وسيأتي اليوم الذي ستكون فيه الخلافة على منهاج النبوة ، والحياة العامة على سنن الإسلام . . . ولعل ذلك يكون قريباً إن شاء الله . وإني متفائل أن هذا كله سيحقق على أيدي الشباب ، وعزائم الرجال ، وجهاد العلماء ، وبذل الأغنياء . . . وما ذلك على الله بعزيز .

أما الجهاد القتالي : فهو بذل الجهد عن طريق القتال في إزالة الطواغيت التي تحول دون حكم الله ونشر دعوته في الأرض .

ويتفرع عن هذا التعريف للجهاد القتالي مفهومان :

الأول : قتال من يعلن مبادئ الكفر والضلال في دار الإسلام .

الثاني : قتال من يقف في طريق الدعوة من الطواغيت في دار الحرب . . .

^(١) حديث صحيح رواه الإمام أحمد والبخاري والطبراني ، قال الهيثمي : " ورجاله رجال الثقات " .

أما قتال من يعلن مبادئ الكفر والضلال في دار الإسلام فللأدلة التالية :

(أ) روى مسلم عن عبادة بن الصامت قال : " بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة ، في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا ، وعلى ألا ننازع الأمر أهله ، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان وعلى أن تقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم " .

(ب) وروى البخاري عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله " .

(ج) وروى مسلم وأبو داود والترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون ، فمن كره فقد برئ ، ومن أنكر فقد سلم . . . قالوا : أفلا تقاتلهم ؟ قال : لا : ما صلوا " .

(د) وروى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل " .

فنستنتج من مجموع هذه النصوص أن الحاكمين إذا أصبحوا لا يصلون ، ولا يقيمون في المسلمين كتاب الله ، ونظام الإسلام . . وأصبحوا يدعون إلى مبادئ اجتماعية ضالة ، ومذاهب إلحادية كافرة . . أو يسرون في طريق تحويل الأمة من الإسلام إلى عقائد جديدة ، وعقول جديدة ، وأخلاق جديدة . . وجب قتالهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله .

وصدق الله العظيم القائل : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . . ﴾

[الأنفال : ٣٩] .

وهذا القتال لا يتم إلا بتنظيم عملية الجهاد بالنفس على أرض الإسلام يستأصلون بها طوائف الباطنيين الكفرة ، والأحزاب الكافرة الضالة ، ودعاة فصل الدين عن الدولة . . ويستأصلون بها رؤس الفساد وأهل الإباحية ، والمرتدين عامة . . حتى تتحرر أرض الإسلام من كيدهم الأثيم ، وحقدهم الدفين ، ويرجع الدين لله وحده ، والحاكمة للإسلام الحق المبين . .

وهذه العملية مقدمة على الجهاد في دار الحرب ، لأنه لا يمكن أن يقوم جهاد على أرض الحرب وديار الكفر . . بدون تصفية الملحدين والكافرين ، وتوحيد المسلمين ، وجمع كلمتهم، وإيجاد إمامهم . .

أما قتال من يقف في طريق الدعوة الإسلامية من الطواغيت في دار الحرب فلقوله تبارك وتعالى : ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ﴾ [التوبة : ٢٩] .

وقوله : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾^(١) ، ويكون الدين كله لله ، فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير ﴾ [الأنفال : ٣٩] .

فنستنتج من هذه الآيات أن المسلمين مكلفون بإخضاع العالم كله لسلطان الله ، ومكلفون بقتال كل طاغوت يقف عقبة كأداء دون الدعوة الإسلامية من أن تصل إلى الأمم والشعوب . . ونجد صورة لهذا كله في المقابلة التي تمت بين رستم قائد جيوش الفرس ، وربيعي ابن عامر - أحد جنود الإسلام في جيش سعد بن أبي وقاص - قبل نشوب معركة القادسية :

قال رستم : ما الذي دعاكم إلى الجئنا إلينا ، والولوع ببلادنا ؟

فأجاب ربيعي : جئنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار ، ومن ضيق

الدين إلى سعتها ، ومن جور الكفر إلى عدل الإسلام الذي هو دين الحق .

(١) المقصود بالفتنة : اضهاد الطواغيت لشعوبهم إذا دخلوا في الإسلام وآمنوا .

ونظر ربعي . . فوجد عامة الشعب راكعين عن يمينه وعن يساره ، فقال : لقد كانت تَبْلَغُنَا عنكم الأحلام (العقول الراجحة) ، ولكني لا أرى قومًا أسفه منكم ، ولقد ظننا أنكم تتساوون وتتواسون كما تتساوى وتتواسى ولقد كان الأجدر أن تجزوني أن فيكم آلهة يُعبدون ، وأناسًا يُعبدون ، والآن علمت أنكم مغلوبون ، وأنه لن يبقى فيكم هذا الأمر .

فقال بعض حاشية رستم لبعضهم همسًا : والله لقد قال هذا كلمة لا يزال سفهاؤنا تنزع^(١)

إليها .

ثم قال رستم : أفليس هناك مهلة لننظر في هذا الأمر ؟

فأجاب ربعي : بل إلى ثلاثة أيام ، إلا أن تبدؤنا أتم بقتال .

فقال رستم : أو سيدهم أنت ؟

قال ربعي : بل أنا جندي فيهم ولكننا نحن المسلمين يجير أدانا على إعلانا .

ولما كان هذا الإخضاع ، وإزالة الطواغيت من صناديد الكفر لا يتم إلا بوحدة الأمة الإسلامية ، وعودة الخلافة فيها ، وحشد القوى ، وإطلاق الطاقات ، وتعبئة الموارد ، وإيجاد الصناعات المتكافئة . . من أجل أن توازي قوة الأمة الإسلامية قوة العالم في الإنتاج ، والاقتصاد ، والحضارة ، ووسائل الدفاع . . . فإن هذا كله واجب ، والقاعدة الأصولية الشرعية تقول : " ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب " .

ولما كان هذا لا يتحقق ولا يكون إلا بعودة سلطان الإسلام وحاكميته في كل قطر إلى المسلمين ،

فتحقيقه كذلك من قبيل الواجب .

ولما كان هذا لا يتم إلا بالجهاد القتالي على أرض الإسلام أولاً ، كان ذلك أيضاً هو الواجب

الأعلى الآن ، ولا يجوز للمسلمين أن يفكروا بغيره اللهم إلا ترتب على المسلمين دفع شر أعظم كهماجمة

اليهود ديار الإسلام مثلاً ، فعندئذ يختارون أخف الشرين وأهون الضررين .

(١) أي ما زال عامة شعبنا يتمنون الخلاص من عبودية الملوك الأكاسرة .

وعندما تقوم الدولة الإسلامية على أرجلها ، ويصبح للمسلمين إمام ، وتكون لهم وحدة . .
وجب على الأمة الإسلامية أن تخضع العالم إلى سلطان الله وعندئذ يكون الجهاد القتالي في دار الحرب
فرض عين إذا اقتضت العملية القتالية مشاركة الجميع أو فرض كفاية إذا اقتضت العملية القتالية مشاركة
البعض . .

وهذا معنى قوله تبارك وتعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله ، فإن
انتهوا فإن الله بما يعملون بصير ﴾ [الأنفال : ٣٩] . .

هذا هو - يا شباب - تحققكم بشعار " والجهاد سبيلنا " :

فما عليكم إلا أن تشمروا عن سواعد الجِد والعزيمة والعمل ، وتنفضوا عن كواهلِكُم غبار التواني
والخمول والكسل . . لتطهروا الأرض مما ران عليها من أدناس الفسوق ، وأرجاس الضلالة فأنتم روح
الأمة المتوثب ، ودمها المتدفق ، وقلبها النابض ، وعزمها الجبار ، وإرادتها القوية . .

وأنتم - يا شباب - في كل جهاد أمل نهضة ، وفي كل معركة نماذج فداء ، وعلى أكتافكم أثقال
المسؤولية وبعزائمكم يقوم الجِد ، وبأفكاركم تنتشر الحضارات ، وبمجيد أخلاقكم تظهر القيم ،
وبطموحكم يتحقق نصر الإسلام .

إن جهاد الشباب في الأمة قوة فعالة تصنع الخوارق والأعاجيب ، وتحقق أهدافاً من العزة
والكرامة ، يعجز عن بلوغها الضعاف المهازيل . . لأن الشباب طاقة جبارة ممثلة إيماناً ونشاطاً وحيوية ،
هذه الطاقة تستطيع أن تقرر مصائر الشعوب فترفعها إلى أعلى درجات الجِد ، وتدفعها إلى طليعة الأمم
الراقية . . وحينما نرى أمة الإسلام أخذت بنصيب وافر من القوة والرقى ، وقطعت أشواطاً كبيرة من
الحضارة والعلم . . نجد وراء ذلك كله فتية آمنوا بربهم ، وبمسئوليتهم في حمل رسالة الإسلام . . فعزفوا
عن مباحج الدنيا ورفاهيتها ، وعقدوا العزم ، على متابعة الجهاد ، ومواصلة العمل حتى يبلغوا أعز
الآمال ، وأسمى الأمانى !! . . .

وأخيراً أريد أن أفْت نظرکم - يا شباب - إلى شيء هام فاستمعوا إلى ما أقوله لكم: قبل أن تحملوا السلاح لقتال أعداء الله ، وأعداء الإسلام . . عليكم أن تجاهدوا أولاً نفوسكم التي بين جنبيكم ، وتحملوها دائماً على المجاهدة والمراقبة والمحاسبة . . لتترفع دائماً عن نوازع الهوى ، ودوافع الإثم ، وتسمو بكليتها عن أضرار المادة ، وقتنة الحياة الدنيا . . لأن الذي يقدر أن ينتصر على نفسه ، ويستعلي على هواه يكون أقدر وأقوى على الانتصار على الأعداء ، والإنسان في صراع شاق بين دوافع الروح التي تدعو إلى الخير ، وبين نوازع النفس التي ترمي إلى الإثم . . فما عليه إلا أن يُغلب دوافع الخير على نوازع الشر ، وسلطان الإيمان على وساوس الشيطان حتى يكون في الدنيا من الأتقياء الصالحين ، وفي الآخرة من السعداء الفائزين . . .

- وقال تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

- وقال جل جلاله : ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد

خاب من دساها ﴾ [الشمس : ٧ - ١٠] .

- وقال عز من قائل : ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي

المأوى ﴾ [النازعات : ٤٠ ، ٤١] .

وإذا انتصر الإنسان على نفسه - يا شباب - استرخص الحياة ، واستهان بالموت ، وقدم نفسه

فداء للعقيدة والحق ، وعاش حياته عزيزاً حراً كريماً يهابه كل شيء في هذا الوجود .

فأحكموا أمركم ، وأصلحوا نفوسكم . واتقوا الله حق تقاته ، وأخلصوا عملكم لله ، ليتحقق

لكم في الحياة النصر المبين ، والعزة المنيعة . . وما ذلك على الله بعزيز .

أُتدرون ما هو التحقق بشعار :

﴿ والموت في سبيل الله أسمى أمانينا ﴾ ؟ .

هو أن تدعوا الله سبحانه بعد أداء كل صلاة بأن ينيلكم الشهادة في سبيل الله حين يؤذن مؤذن الجهاد ، ويجدو صوت الحادي بشعار الله أكبر .

من منكم - يا شباب - يستكف عن نيل الشهادة يوم تحتاج دعوتكم أن ترخصوا الروح في سبيلها ، وتريقوا الدم الغالي في طريق نصرها وإعزازها ؟

من منكم - يا شباب - لا يتمنى أن يخز شهيداً في سبيل الله ليحظى بمقعد صدق عند مليك مقتدر ؟

من منكم - يا شباب - لا يرغب أن يلحق بركب الشهداء ليسطر في التاريخ سطور الجحد ، ولوحات الخلود ؟

من منكم - يا شباب - لا ينتظر اليوم الذي فيه تبذل الروح ، ليزف إلى الجنة بتهايل الملائكة ، وزغاريد الحور العين ؟

من منكم - يا شباب - لا يتلهف إلى الشهادة ليكون في جوار النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين يوم العرض الأكبر ؟

لا شك أنكم تمننون وتلهفون !! .. ليكون فعلكم مطابقاً لقولكم وهتافاتكم !! .

إن الذين يتهيئون الموت ، ويجبنون عند اللقاء طلباً للبقاء ، ورغبة في الحياة ، وفراراً من القدر .. تقول لهؤلاء : إن الإسلام بنى حقيقة التوحيد على الإيمان بالله والاعتماد عليه، والرضى بقضائه ، والتسليم لجنابه .. فهو وحده صاحب المشيئة والأمر ، وهو وحده المتفرد بالسلطان والحكم ، لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسيراً ﴾ [الحديد : ٢٢] .

ماذا يصنعون إذا ماتوا على فرشهم كما يموت العَيْر هل يتخذون لهم نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء؟!!

﴿ لكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ [الأعراف: ٣٤] .
﴿ قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾ [آل عمران: ١٥٤] .
ألا فليستمعوا إلى ما قاله سيف الله خالد بن الوليد حين أدركته الوفاة! . . . : " إنني حضرت مئة حرب أو زهاءها ، وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح ، أو رمية سهم ، أهكذا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت العير ؟ فلا نامت أعين الجبناء !! . . " .
وليستمعوا إلى ما قاله سيد الشجعان على بن أبي طالب - كرم الله وجهه - وهو يخوض المعامع ، ويقارع الأبطال :

أيَّ يوميَّ من الموت أفرَّ يوم لا يُقدَّرُ أم يوم قُدر
يوم لا يُقدَّرُ لا أرهبهُ ومن المقدور لا ينجو الحذر

وليستمعوا إلى ما قاله عليه الصلاة والسلام لابن عباس في أن المقدر كائن لا ينمحي ، وأن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه : " وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف " رواه الترمذي .

وليستمعوا إلى ما قاله المتنبّي في طعم الموت :

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقيرٍ كطعم الموت في أمر عظيم

وما أحسن ما قاله بعضهم في الصبر على الموت ، والإيمان بالقدر :

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال ويحك لن تُراعي
فإنك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذي لك لن تطاعي
فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بمستطاع

إن الرجال الذين يكتبون التاريخ بدمائهم ، ويوجهون زمامه بعزماهم هم الذين تمنوا الشهادة في سبيل الله ، وهم الذين بلغوا الدعوة ، ونشروا الإسلام ، وأقاموا دين الله في الارض وإليكم - يا شباب - نماذج من بطولاتهم ، ومواقف من تضحياتهم .

١-روي أن أبا " خيشمة " رضي الله عنه قد قُتل ابنه في معركة بدر ، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لقد أخطأني وقعة بدر ، وكنت - والله - عليها حريصاً ، حتى ساهمت ابني في الخروج فخرج في القرعة سهمه ، فرزق الشهادة ، وقد رأيت البارحة ابني في النوم في أحسن صورة ، يسرح في ثمار الجنة وأنهارها يقول : " الحق بنا يا أبتاه ترافقنا في الجنة فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً " ، وقد أصبحت يا رسول الله مشتاقاً إلى مرافقته ، وقد كبرت سني ، ورق عظمي ، وأحببت لقاء ربي ، فادعُ الله يا رسول الله أن يرزقني الشهادة ومرافقة خيشمة في الجنة) ، فدعا الرسول صلى الله عليه وسلم له فقتل في معركة أحد شهيداً .

٢- وكان " عمرو بن الجموح " أعرج شديد العرج . وكان له أربعة أبناء شباب يغزون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما توجه إلى أحد أراد أن يخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم للجهاد ، فقال له بنوه : " إن الله قد جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك وقد وضع عنك الجهاد " ، فأتى عمرو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله : إن بني هؤلاء يمنعونني أن أجاهد معك ، والله أني لأرجو أن أستشهد في سبيل الله فأطأ بعرجتي هذه في الجنة !..! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد " ، وقال لبنيه : " وما عليكم ألا تدعوه

لعل الله عز وجل أن يرزقه الشهادة"، فخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتل يوم أحد شهيداً .

٣- وقال نعيم بن مالك : (يا نبي الله لا تحرمنا ، فوالذي نفسي بيده لأدخلنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بَمَ " ؟ قال : بأني أحب الله ورسوله ، ولا أفر يوم الزحف ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : " صدقت " واستشهد يومئذ .

٤- وهذا " عمير بن الحمام " لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه يوم بدر : "قدموا إلى جنة عرضها السموات والأرض " قال عمير : يا رسول الله ، جنة عرضها السموات والأرض !! . قال " نعم " ، قال : بَخِ بَخِ ^(١) ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وما يملك على قول بَخِ بَخِ ؟ " قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها ، قال : " فإنك من أهلها " ، فأخرج تمراتٍ من قرنه فجعل يأكل منهن ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة ، فرمى ما كان معه من التمر ، ثم دخل المعركة حاملاً سلاحه بيمينه ، يهوي بها على رقاب المشركين وهو يصيح :

ركضا إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد

والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النقاد

غير التقى والبر والرشاد

فما زال يجاهد حتى قتل شهيداً رضي الله عنه .

٥- قرأ " أبو طلحة الأنصاري " سورة " براءة " حتى بلغ هذه الآية : ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً

وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ﴾ .

فقال رضي الله عنه : يأمرنا الله أن نخرج للجهاد خفافاً وثقالاً ، شباناً وكهولاً ، ما سمع الله عذر

أحد ، وقال لبنيه :

(١) كلمة تقال عند تعظيم الإنسان وعند التعجب من الشيء وعند المدح والرضا بالشيء وتكرر للمبالغة . لسان العرب ١ صفحة ٢٢٠

أي بني جهزوني . . . جهزوني . . (يعني للجهاد) ، فقال له بنوه : يرحمك الله قد غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى مات ، ومع أبي بكر حتى مات ، ومع عمر حتى مات ، فنحن نغزو عنك ! ، قال : لا ، جهزوني . . فجهزوه بجهاز الحرب ، فغزا في البحر ، فمات في الطريق ، فلم يجدوا له جزيرة يدفونه فيها رضي الله عنه .

٦- وخرج سعيد بن المسيب إلى الغزو ، وقد ذهب إحدى عينيه ، فقيل له : إنك عليل ! فقال : استنفر الله الخفيف والثقيل ، فإن لم يمكني الحرب ، كثرت السواد ، وحفظت المتاع .

٧- ولقد روي في بعض الغزوات أن الابن وأباه كانا يتسابقان إلى الجهاد ، فيقرعان بينهما ، فتخرج القرعة للابن ، فيقول الأب : آثرني يا بني ، أنا أبوك : فيقول الابن : إنها الجنة يا أبت ، ولو كان شيء غيرها لآثرتك والله .

- وكان الواحد من هؤلاء المجاهدين الأبطال إذا سقط في ميادين الجهاد شهيداً قال: وعجلتُ إليك ربي لترضى .

- وكان آخر يقول وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة :

غداً ألقى الأحبه محمداً وصحبه

- وكان ثالث يقول وهو يغالب في ساحه الشرف :

هذا هو يوم الفرح الأكبر

- وكان رابع يقول وهو في ساحة الإعدام ، والأعداء محيطون به من كل جانب :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

- وكان خامس يقول وهو يسلم الروح إلى بارئها : " يا سعد الجنة وربّ النضر ، أجد ريجها من

وراء أحد " .

ورحم الله شاعر الإسلام " محمد إقبال " فيما نظمه في جهاد هذه الأمة التي تربت في مدرسة الإيمان ، وفهمت حقيقة الإسلام ، وخاضت معارك الجهاد . وتمنت الشهادة في سبيل الله : فلنستمع إليه في هذه القصيدة العصماء :

من ذا الذي رفع السيوف ليرفع اسم
كنا جبلاً في الجبال وربما
معباد الإفريج كان أذاننا
لم تنس إفريقيا ولا صحراؤها
كنا تقدم للسيوف صدورنا
وكان ظل السيف ظل حديقة
لم نحش طاغوتا يجاربنا ولو
ندعو جهاراً لا إله سوى الذي
ورءوسنا يارب فوق أكفنا
كنا نرى الأصنام من ذهب فنه
لو كان غير المسلمين لحازها
مك فوق هامات النجوم منارا
سرنا على موج البحار بجارا
قبل الكنائب يفتح الأمصارا
سجداتنا والأرض تقذف نارا
لم نحش يوماً غاشماً جباراً
خضراء تنبت حولها الأزهارا
نصب المنايا حولنا أسوارا
صنع الوجود وقدر الأقدارا
نرجو ثوابك مغنماً وجوارا
دمها ونهدم فوقها الكفارا
كغزاً وصاغ الحلي والدينارا

فيا شباب الإسلام : انتظروا هذا اليوم الذي تقدمون فيه المهج والأرواح رخيصة في سبيل إعلاء كلمة الله ، وإعزاز دينه في الأرض .

إن النصر لا يأتي بالتمني ، والرضى بالواقع ، والإخلاق إلى الراحة ، وإيثار السلامة . . وإنما يأتي النصر بتقديم الكنائب من الضحايا ، والقوافل من الشهداء عبر الكفاح الدامي ، والجهاد المرير . .
ذريني أتل مالا يُنال من العلا فصعب العلا في الصعب والسهل في السهل
تريدين إدراك المعالي رخيصة ولا بدّ دون الشهد من إبر النحل

فإذا كانت الجماعات المسلمة في القرن العشرين قدمت على دروب الشهادة : الشهيد الإمام البنا ، والشهيد عبد القادر عودة ، والشهيد سيد قطب ، والشهيد محمد فرغلي ، والشهيد يوسف طلعت ، والشهيد مروان حديد ، ومئات غيرهم . . فإنها ستقدم في المستقبل القريب على دروب الكفاح الطويل القوافل تلو القوافل . . والكثائب تلو الكثائب حتى نرى راية " لا إله إلا الله ومحمد رسول الله " ارتفعت في سماء الدنيا تضاهي الأمم في عزتها وقوتها واستعلائها . . وما ذلك على الله بعزيز .

فيا شباب : امضوا فإنها إحدى الحسين : أمّا نصر وإمّا شهادة : ﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون ﴾ [النساء : ١٠٤] .

ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

ورحم الله من قال :

أخي إن نمت نلق أحبابنا فروضات ربّي أعدت لنا

وأطيارها رفرت حولنا فطوبى لنا في ديار الخلود

هذا هو التحقّق - يا شباب - :

بشعار " الله غايتنا " .

وبشعار " الرسول قدوتنا " .

وبشعار " القرآن دستورنا " .

وبشعار " الجهاد سبيلنا " .

وبشعار " الموت في سبيل الله أسمى أمانينا " .

فحينما تتحققون بها يكون فعلكم مطابقاً لما تهتفون .. وعلى مثل هذا فليعمل العاملون !! ..

وأخيراً الشخصية يا شباب !! ...

وأخيراً أريد أن أذكركم - يا شباب - ببعض خصائصكم ومزاياكم ، وأنا ألفت نظركم إلى ما يرفع من مكانتكم ، ويقوي شخصيتكم ، ويدل عليكم ، ويميزكم عن غيركم ، لتعلموا أين تذهبون ؟
إن منهاج نبيكم عليه الصلاة والسلام في تربية الشخصية وإعداد الذاتية .. لهو منهاج قوي ، وطريقة واضحة ، وخطة متينة محكمة ..

واليكم - يا شباب - تفاصيل هذا المنهاج ملخصاً ، لتعلموا أين أنتم من تنفيذه ، والسير على أسسه وتعاليمه ؟ .

إن هذا المنهاج في إعداد الشخصية يقوم على أربع دعائم أساسية :

١- التميز في العقيدة .

٢- التميز في العبادة .

٣- التميز في الأخلاق .

٤- التميز في المظهر .

أما التميز في العقيدة فهو من أظهر ما يجب أن يتحقق به المسلم ، لأن الإنسان إما مسلم صادق ، وإما مسلم مزيف .

والمسلم الصادق لا يسمح لنفسه بحال أن يستقي عقيدته من غير عقيدة الإسلام ، وأن ينهل مبادئه من غير مبادئ الإيمان .

إن المؤمن الصادق لا يتخذ له في العقيدة والفكر والأمور الدنيوية .. إمامة غير إمامة القرآن ، ولا هدياً غير هدي محمد عليه الصلاة والسلام ؛ والموقف القرآني في ذلك حاسم فاصل : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ، ويسلموا تسليماً ﴾

[النساء : ٦٥] .

ومما يؤكد هذا التمييز ربط النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالإسلام عقيدة وفكراً
ومنهاجاً . . . وذلك في مواقفه المتكررة مع الرعيل الأول من أصحابه :

(أ) روى الإمام أحمد عن جابر : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه
وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : فغضب ،
وقال : " أنتهوكون ^(١) فيها يا ابن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيّاً ما وسعه إلا أن
يتبعني " .

(ب) وأخرج عبد الله في المصنف ، والبيهقي في شعب الإيمان عن الزهري أن حفصة جاءت
إلى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب من قصص يوسف عليه السلام في كَفِّ ، فجعلت تقرأه عليه ،
والنبي صلى الله عليه وسلم يتلون وجهه ، فقال : " والذي نفسي بيده ، لو أتاكم يوسف وأنا بينكم
فاتبعتموه وتركتموني ضلّتم ، أنا حظكم من النبيين ، وأتم حظي من الأمم " .

(ج) وأخرج القرطبي والدارمي ، وأبو داود ، وابن جرير . . عن يحيى بن جعدة قال : جاء
ناس من المسلمين بكف قد كتبوا فيها ما سمعوه من اليهود ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "
كفى بقوم حمقاً أو ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم " فنزلت :
﴿ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾
[العنكبوت : ٥١] .

فهذه المواقف من رسول الإسلام صلوات الله عليه تؤكد أن العقيدة الإسلامية هي العقيدة
الوحيدة المتميزة التي يجب أن يرجع المسلمون إليها ، ويستقوا منها ، ويعتمدوا عليها . . لما تحمله هذه
العقيدة من مسلمات الفطرة ، ومقومات الخلود ومبادئ الشمول ، وطاقت التجدد . . . وهذا ما يميز
العقيدة الإسلامية عن غيرها من العقائد والشرائع ، وهذا ما يجعل المسلمين أن يتميزوا عن غيرهم من
الأمم لأنهم ارتبطوا بالإسلام عقيدة وفكراً ومنهاجاً والتزاماً . . .

(١) أنتهوكون : أي أنتشككون في ملتكم .

﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ [آل عمران : ١٩] .

﴿ ومن يتبع غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ [آل عمران :

٨٥] .

أما التمييز في العبادة فملحوظ في جانبين :

١- التمييز في الشكل .

٢- التمييز في التطبيق .

أما التمييز في الشكل فإن عبادة المسلم متميزة في شكلها وصورتها عن أي عبادة يتعبد بها أهل

الملل الأخرى ، لتبقى العبادة دائمًا هي المتميزة ، وهي الرائدة . .

ومما يؤكد هذا التمييز أن الله سبحانه لما فرض على الأمة الإسلامية الصلوات الخمس أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتجه في أداء الصلاة جهة بيت المقدس ، واتجه الصحابة رضوان الله عليهم معه كذلك ، ولكن اليهود لعنهم الله كانوا يشيعون ويقولون : يخالفنا محمد في ديننا ، ويتبع قبلتنا ، ولولا ديننا لم يدر أين يتوجه في صلاته ؟ فكره النبي صلى الله عليه وسلم البقاء على قبلتهم لما يُلقونه من شُبهه ، ولما يلقونه من إشاعات . . وأحب أن تتحول القبلة إلى الكعبة لأنها قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام ، وقد أرسل لإحياء ملته ، وتجديد دعوته . . وبالتالي حتى تكون أمته رائدة الأمم في كل شيء حتى في أشكال العبادة .

فروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لجبريل عليه السلام : وددتُ لو أن الله صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر إلى السماء رجاء أن يأتيه الوحي بتحويل القبلة إلى الكعبة ، فحقق الله سبحانه له رجاءه وأمنيته . .

وسرعان ما نزل الوحي بالأمر في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا

وجوهكم شطره ، وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم ، وما الله بغافل عما يعملون ﴿ [البقرة : ١٤٤] .

أخرج البخاري ومسلم عن البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول من نزل المدينة على أخواله من الأنصار ، وأنه صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ، وكان يعجبه أن تكون قبلته إلى الكعبة ، وأنه صلى أول صلاة صلاها (صلاة العصر) . وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن كان صلى معه ، فمرّ على أهل المسجد وهم راكعون ، فقال : أشهد بالله لقد صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل مكة ، فداروا كما هم قبل البيت ، وكان الذي قد مات على القبلة قبل البيت رجلاً قتلوا لم ندر ما نقول فيهم ، فأنزل الله سبحانه : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ ^(١) [البقرة : ١٤٣] .

ومما يؤكد هذا التمييز أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى اليهود يصومون يوم عاشوراء أراد أن يميز أمته في هذا الصيام ، فأمر الأمة أن تصوم يوماً قبله أو يوماً بعده مخالفةً لليهود ، وتميزاً عنهم . . . روى الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " صوموا يوم عاشوراء ، وخالفوا فيه اليهود ، وصوموا يوماً قبله أو يوماً بعده " .

ومن مظاهر هذا التمييز كذلك أن الذبيحة التي ينذرها المسلم لله ، لا يجوز أن ينذر ذبحها في المواضع التي يعظم فيها غير الله ، حتى لا يقع المسلم في الشرك والوثنية . وحتى لا يحرم عليه بعد الذبح أكلها !! ..

روى أبو داود عن ثابت بن الضحاك قال : نذر رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينحر إبلاً ببوانة ^(٢) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد " ؟ قال : لا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " أوف بنذرك . فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم " .

(١) إيمانكم : صلاتكم التي صليتموها جهة بيت المقدس .
(٢) بوانة : بضم الباء موضع قريب من مكة .

أما التمييز في التطبيق فيظهر في حرص المسلم على القيام بواجب العبادات ، وفرائض الطاعات
حيثما كان ، وحيثما حل ، وحيثما ارتحل . . لا يجد في ذلك حرجاً ولا غصاصة ولا تهاوناً . .
ولاشك أن العبادات بأسرها إذا التزمها المسلم في حينها . وأرداها في وقتها . . تميز عن غيره
من الناس أنه مسلم ، وأنه عبدٌ لله سبحانه ، وأنه المؤمن الراسخ لا يخاف في الله لومة لائم . .
﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ [فصلت :

. [٣٣

فما أجمل الشباب حينما يكونون في المعسكر ، أو في الوظيفة ، أو في الجامعة ، أو في العمل . . .
ويسمعون نداء المؤذن " الله أكبر " . " حي على الصلاة " . .
فما أجملهم وما أكرمهم عند الله . . حينما ينتظمون صفوفاً ويقفون بين يدي الله سبحانه محبتين ،
ليخاطبوه بلسان عربي مبين : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ .

أليست هذه الظاهرة تدل على أنهم أعطوا ولاءهم لله لا للطواغيت . . . ؟
أليس هذا الموقف يشير إلى أن إرضاءهم لله مقدم على أي إرضاء للبشر . . ؟
أليس هذا التميز الذي تميزوا به يدفع ضعفاء الإيمان إلى القوة وإلى الثبات . . ؟
أليس هذا التجمع العبادي الذي ظهروا به أبلغ من ألف خطبة فيها دعوة إلى الصلاة . . . ؟
فما أجدر شبابنا أن يعرفوا هذه الحقيقة في الدعوة إلى الله ، وأن يميزوا عن غيرهم في أداء
العبادة ، وأن يعطوا القدوة للناس في اعتزازهم بهذا الإسلام ، واتسابهم إلى محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وعبوديتهم لله رب العالمين !! . .

ومما زادني شرفاً وتبهاً وكدت بأخصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبياً

وهكذا كان النبي يميز أمته في أركان العبادات من ناحية الشكل والمظهر ، ومن ناحية التنفيذ والتطبيق . . حتى تتربى الأمة الإسلامية على الاستقلالية ، وتكون دائماً قدوة لجميع الناس حتى في عبادتها ، ووقوفها بين يدي الله رب العالمين . .

أما التميز في الأخلاق فهو من أهم ما يحرص عليه الإسلام في تكوين الأفراد ، وتربية المجتمع ، حتى إذا وجد المسلم بين أعداء ، أو مع قوم بيننا وبينهم ميثاق . . رأوا في شخصه شخصاً آخر غير الذي عرفوه وعهدوه ، رأوا فيه الصدق متمثلاً في أقواله وأفعاله ، رأوا فيه الأمانة متحققة في أخذه وعطائه ، رأوا فيه الوفاء متأصلاً في عقودهم وعهوده . رأوا فيه السماحة منعكسة من مرآة عفوه وحلمه . .

وبالاختصار رأوا فيه الإسلام متجسداً في لطفه ومعاملته وأخلاقه . .

فإذا كانت الأخلاق في الإسلام تقوم على مبدأ " التحلي بالفضائل ، والتخلي عن الرذائل " . وعلى أساس الالتزام بالمنهج الرباني في التربية النفسية والخلقية . . . فجدير بالمسلم أن يتخلى عن كل الرذائل التي نهت الشريعة الإسلامية عنها ، وأن يتحلى بكل الفضائل التي أمرت الشريعة بها ، وأن يلتزم المبادئ الخلقية التي دعا إليها القرآن العظيم ، وحض عليها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبهذا يكون المسلم قدوة صالحة للناس ، فيثأثرون به ، ويأخذون عنه ، ويمشي وكأنه شامة في المجتمع . ولا شك أن التربية بالقدوة . والدعوة إلى الله بالحال قبل المقال . . . من أكبر العوامل في إصلاح الأفراد . وهداية الأمم . . بل من أعظم الأسس في انتشار الإسلام في ديار الشرق والغرب . .

وما ازجر ما قاله القرآن الكريم في الذين تخالف أفعالهم أقوالهم !! :

- ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ﴾

[الصف : ٢ ، ٣] .

- ﴿ أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ ؟ [البقرة :

٤٤] .

وما أعظم موقف عمر رضي الله عنه حين كان يجمع أهل بيته ليقول لهم !! : (أما بعد ، فإنني سأدعوا الناس إلى كذا وكذا ، وانهاهم عن كذا وكذا ، وإني أقسم بالله العظيم لا أجد واحداً منكم أنه فعل ما نهيت الناس عنه ، أو ترك ما أمرت الناس به إلا نكّلت به نكالاً شديداً) ، ثم يخرج رضي الله عنه ويدعو الناس إلى الخير فلم يتأخر أحد عن السمع والطاعة ، لإعطائهم القدوة بفعله ، قبل إعطائهم إياها بقوله .

ومن هنا كان التنكيل بالذي يأمر غيره بالمعروف ولا يأتيه شديداً وعظيماً يوم القيامة، ومن هنا كانت الفضيحة في جهنم مخزية وأليمة أمام الأشهاد !! .

روى البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "يُجاء بالرجل يوم القيامة ، فيلقى في النار ، فتندلق أفتابه (١) ، فيدور كما يدور الحمار برحاه ، فتجتمع أهل النار عليه ، فيقولون : يا فلان ، ما شأنك ؟ ألسنت كنت تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : كنت آمركم بالمعروف ولا آتية ، وأنهاكم عن الشر وآتية " ، قال : وإني سمعته يقول - يعني النبي صلى الله عليه وسلم - : " مررت ليلة أسري بي بأقوام تُقرض شفاههم بمقاريض من نار . قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون " .

أما الفضيحة المخزية أمام الأشهاد فلما روى أحمد والبيهقي عن منصور بن زاذان قال: " بُنْتُ (٢) أن بعض من يلقي في النار تتأذى أهل النار بريجه ، فيقال له : ويلك . ما كنت تعمل ؟ أما يكفيننا ما نحن فيه من الشر حتى أبتلينا بك وبنتن ربحك ؟ فيقول : كنت عالماً فلم أتفع بعلمي " .

(١) إفتابه : أمعاؤه تخرج من بطنه .

(٢) بُنْتُ : أي أخبرت .

وما أحسن ما قال بعضهم في الذي يخالف فعله قوله :

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا كما يصح به وأنت سقيم
أبدأ بنفسك فانها عن غيرها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما وعظت ويُتدى بالعلم منك وينفع التعليم

من هذا المنطلق التكويني التربوي في إصلاح النفس . . . انتشر الإسلام في كثير من الممالك النائية

، والبلاد الواسعة البعيدة في شرق الدنيا وغربها . .

والتاريخ يسطر بملء الافتخار والإعجاب أن الإسلام وصل إلى جنوب الهند وسيلان وجزر
لكديف ومالا ديف في المحيط الهندي ، وإلى التيب ، وإلى سواحل الصين ، وإلى الفلبين ، وجزر
أندونيسيا ، شبه جزيرة الملايو . . ووصل إلى أواسط أفريقيا في السنغال ، ونيجيريا ، والصومال ،
وتنانيا ، ومدغشقر ، وزنجبار ، وغيرها من البلاد . . .

وصل الإسلام إلى كل هذه الأمم بواسطة تجار مؤمنين أعطوا الصورة الصادقة عن الإسلام في
سلوكهم وأمانتهم ووفائهم وصدقهم . . ثم أعقب ذلك الكلمة الطيبة ، والموعظة الحسنة ، والدعوة
اللطيفة . . فدخل الناس في دين الله أفواجا ، وآمنوا بالدين الجديد عن اقتناع وإيمان ورغبة . . ولولا
أن يتميز هؤلاء التجار الدعاة بأخلاقهم ، ويُشتهروا بين أولئك الأقاليم بصدقهم وأمانتهم ، ويُعرفوا لدى
الغرباء بلطفهم وحسن معاملتهم . . لما اعتنقوا هذا الإسلام، ولما دخلوا في عدله ورحمته !! . .

ونخلص مما تقدم - يا شباب - أن التميز الخلقي المتمثل بالقدوة الصالحة هو من أكبر العوامل في
التأثير على القلوب والنفوس ، ومن أعظم الوسائل في نشر الإسلام في الأصقاع المعمورة ، وفي هداية
البشرية إلى سُبُل الإيمان ، وطرق الخير . . فما أجدركم - يا شباب - أن تميزوا على غيركم بالأخلاق
الفاضلة ، والسمعة الحسنة والمعاملة الطيبة، والصفات الإسلامية النبيلة . . لتكونوا في العالمين أقمار
هداية، وشموس إصلاح، ودعاة خير وحق !! . .

وكم يسُر الدعوة الإسلامية أن تجد من جنودها ، ومن ينتسبون إليها شباباً مؤمناً واعياً يجسّدون مبادئ الإسلام في سلوكهم ، ويصوغون فكرته في أشخاصهم ، ويترجمون فضائله في حركاتهم وسكناتهم .

وحين تقدم الحركة الإسلامية في العصر الحديث نماذج من الرجال يُتقدى بفعالهم، ونوعيات من الدعاة يميزون بأخلاقهم ، ومئات من الشباب المسلم يتأسى الناس بأحوالهم قبل أن يتأثروا بأقوالهم . . عندئذ يعطي الجهاد التبليغي في هداية الكافرين ، وإصلاح الفاسقين . . أكله وثماره . وتحصد الحركة الإسلامية في ميدان الدعوة والتبليغ الآلاف من الكتل البشرية التي آمنت بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبالقرآن إماماً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً . . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

فيا شباب : أصلحوا نفوسكم ، وتميزوا بأخلاقكم ، وأعطوا القدوة بأفعالكم . . حتى تتحقق ! الهداية على أيديكم ، ويتأثر الناس بمواعظكم وإرشاداتكم . . وتتوطد دعائم الكيان الإسلامي في البلاد بفضل تبليغكم جهادكم . . وما ذلك على الله بعزيز .

أما التّمييز في المظهر فهو من أبرز الدعائم في إعداد الشخصية وتكوين الذاتية . . بل هو من أُمير الدلائل التي تدل على المسلم ، وتنبئ عن هويته ، وتشير إلى شخصيته . .

لهذا نجد رسول الإسلام صلوات الله عليه قد ركز في تربيته لهذه الأمة على وجوب الاعتناء بالمظهر . وضرورة الاهتمام بالشكل . . لتتميز الأمة الإسلامية على غيرها من الأمم في كل مظهر يدل عليها وفي كل رؤية تظهر فيها . .

ومن مظاهر هذا الاعتناء :

(١) النظافة : لما روى أبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى جماعة من أصحابه كانوا معه في سفر : " إنكم قادمون على إخوانكم ، فأصلحوا رجالكم ، وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس ، فإن الله لا يحب الفحش والتفحش " .

(ب) تغيير الشيب : لما روى النسائي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " غَيَّرُوا الشيب وتجنبوا السواد ، ولا تشبَّهوا باليهود " .

(ج) المخالفة في الزيِّ : لما روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليَّ ثوبين معصفرين ، فقال : " إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسهما " وفي رواية : قلت : أغسلهما ؟ قال : " بل احرقهما " .

وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب إلى المسلمين المقيمين ببلاد فارس : " إياكم والتنعّم وزى أهل الشرك " ، وفي رواية لأحمد : " ذروا التنعّم وزى العجم " .

(د) إرخاء اللحية : لما روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " جزّوا الشارب ، وأرخوا اللحى ، خالفوا الجوس " .

وروى ابن اسحق وابن جرير من طريقه عن يزيد بن أبي حبيب أن رجلين من الجوس دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد حلقا لحاهما ، وأعفيا شواربهما ، فكره النظر إليهما ، وقال لهما : " ويلكما ! مَنْ أَمْرُكَمَا بهذا ؟ " ، قالا : أمرنا ربنا - يعنيان كسرى - ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لكنّ ربي أمرني بإعفاء لحيتي ، وقص شاربي " .

(هـ) النهي عن التشبه : لما روى الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ليس منا من تشبه بغيرنا ، لا تشبَّهوا باليهود ، ولا بالنصارى " .
وروى الإمام أحمد وأبو داود . . عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من تشبه بقوم فهو منهم " .

(و) النهي عن التخثث : لما جاء في الصحيحين عن سعيد بن المسيب قال : قدم معاوية رضي الله عنه المدينة ، فخطبنا وأخرج كُبَّةً^(١) من شعر ، فقال : ما كنت أرى أحداً يفعله إلا اليهود ،

(١) كُبَّةٌ : هي الشعر المكفوف بعضه على بعض ، وهو الشعر المستعار الذي يضعه بعض الرجال والنساء وهو ما يعرف اليوم " بالباروكة " .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه فسماه الزور . وفي لفظ لمسلم : أن معاوية رضي الله عنه قال ذات يوم : (إنكم قد احدثتم زيّ سوء وإن نبي الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الزور) .
وروى البخاري وأبو داود والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " لعن الله المخنثين من الرجال ، والمترجلات من النساء " .

(ز) الأمر بالحجاب : لما جاء في قوله تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ [الأحزاب : ٥٩] .

- وقد جاء في فتح الباري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : " تُسدل المرأة جلابيها من فوق رأسها على وجهها " .

- وفي الموطأ للإمام مالك عن فاطمة بنت المنذر قالت : " كنا نُخَمِّرُ وجوهنا (أي نغطيها) ونحن محرمات ، ونحن مع أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، فلا تنكره علينا " .
فنستخلص من هذه النصوص التي سبق ذكرها أن للمسلم شخصية متميزة في شكله ومظهره عن كل المظاهر البشرية على الإطلاق ، فلا يجوز أن يقلد غيره في زي ، ولا يجاري أحداً في مظهر . . ليكون له مكان الصدارة ، ومرتبة السيادة ، ومقام القدوة في العالمين .

أتدرون - يا شباب - لماذا حرم الإسلام التقليد الأعمى ؟

* لأن التقليد الأعمى دليل الهزيمة الروحية والنفسية . وعدم الإيمان بالذات ، بل فيه معنى ذوبان الشخصية ، وفقدان الذاتية في بوتقة من يجب ، وفي كيان من يقلد . .

وقد حض عليه الصلاة والسلام - فيما رواه أهل السنن والإمام أحمد - أن تتبع سنن الإسلام ، وطرائق الخلفاء الراشدين ، وأن نعصّ عليها بالنواجذ : " عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة . . " .

* لأن التقليد الأعمى يدفع بالكثيرين إلى فتنة الحياة الدنيا ومظاهرها ، وهذا لاشك يؤدي بصاحبه إلى الغرور والكبرياء ، لكونه معجباً بهرجة الزيّ ، وبريق المظهر ، وثوب الشهرة .. وهذا منهي عنه شرعاً .

- روى أبو داود وأحمد وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة " .

- وروى أبو داود عن سويد بن وهب عن رجل من أبناء الصحابة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من ترك لبس ثوب جمال تواضعاً كسأه الله حلة الكرامة .. " .

- وروى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلًا لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " .

* لأن التقليد الأعمى في زي أو مظهر أو خلق .. يؤدي بصاحبه حتمًا إلى حياة الترهل والميوعة والانحلال ... لقوله عليه الصلاة والسلام - فيما رواه ابن جرير - : "لَتَأْخُذُنَّ كَمَا أَخَذَتِ الْأُمَمُ مِنْ قَبْلِكُمْ ذِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، وَشِبْرًا بِشِبْرٍ ، وَبَاعًا بِبَاعٍ ، حَتَّىٰ لَوْ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَوْلَائِكَ دَخَلَ جُحْرًا ضَبَّ لَدَخَلْتُمُوهُ " .

وفعلًا لقد اتبع أكثر الشباب والشابات اليوم أزياء الأمم الكافرة في تبذرها وترهلها ، وأخلاق الشعوب الضالة في تهتكها وتخللها .. بل أصبحوا ينهجون نهجًا بالخلاعة ، ويقتنون أثرها بالميوعة والفسوق .. بل أصبح لديهم - ويا للأسف - المنكر معروفًا ، والمعروف منكراً .. وذلك كله نتيجة التقليد الأعمى ، والتبعية البغيضة ..

* لأن التقليد الأعمى يُفرض بالأمم والشعوب إلى الهلاك المحقق ، والدمار المحتوم ، بل تفقد هذه الأمم كل مقومات وجودها ، وأسباب بقائها وعزتها لسلوكها طريق الكفر والفسوق والعصيان .. وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ، فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء : ١٦] .

ومما يؤكد هذا ما قاله الكاتب الفرنسي " أندريا موروا " في كتاب " أسباب انهيار فرنسا " :
(من أهم أسباب انهيار فرنسا في الحرب العالمية الثانية تفسخ الشعب الفرنسي نتيجة لانتشار الرذيلة بين أفرادها) .

" وهذا ما حدا بالجنرال " ديغول " في أعقاب تسلمه زمام السلطة في فرنسا لأن يستدعي رئيس شرطة باريس ويقول له : (أغلق لي هذه المواخير ، وأوكر الخنافس في عاصمتي) .

* لأن التقليد الأعمى يقعد هؤلاء المنساقين وراء عادات الأجنبي وأزيائه وأخلاقه . . عن كثير من الواجبات الدينية ، والمسؤوليات الاجتماعية ، والدفع بعجلة البناء الاقتصادي والحضاري إلى الأمام . .

لكون أولئك ، ليس لهم هم سوى الاعتناء بمظهرهم . والتقنن بأزيائهم ، وقضاء جل وقتهم في اللقاءات الفارغة ، والاجتماعات المائعة ، والترفيهات الفاجرة . . علماً بأن وقت المسلم ثمين ، والواجبات الملقاة على عاتقه أكثر من الأوقات التي يعمل فيها . . لقوله عليه الصلاة والسلام - فيما رواه مسلم : " احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز . . " .

- ولقوله صلوات الله عليه - فيما رواه الحاكم - عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " اغتتم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك " .

* لأن التقليد الأعمى من أكبر العوامل ، ومن أفتك الأوبئة في إضعاف الذاكرة ، وتخطيم الشخصية ، وتمييع الخلق ، وقتل الرجولة ، ونشر الأمراض ، واستئصال فضيلة الشرف والعفاف . . لما يؤدي حتماً إلى تفلت الغرائز ، وانطلاق الشهوات . وإليكم ما قاله علماء النفس والأخلاق فيما تفعله الغريزة الجنسية في فتكها الذريع ، وأثارها الخطيرة . . في كيان الفرد والمجتمع :

- يقول الدكتور " ألكس كارليل " في كتابه " الإنسان ذلك المجهول " : (عندما تتحرك الغريزة لدى الإنسان تفرز نوعاً من المادة التي تتسرب بالدم إلى دماغه وتحدّره، فلا يعود قادراً على التفكير الصافي ..) .

- وذكر " جورج بالوشي " في كتابه " الثورة الجنسية " ما يلي : (وفي سنة ١٩٦٢ صرح " كنيدي " بأن مستقبل أمريكا في خطر ، لأن شبابها مائع منحلّ غارق في الشهوات ، لا يقدر المسؤولية الملقاة على عاقته ، وإن من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، لأن الشهوات التي اغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية ..) .

- نقلت جريدة الأحد اللبنانية في العدد ذي الرقم (٦٥٠) عن المريية الاجتماعية "مرغريت سميث " حديثاً صحفياً قالت فيه : (إن الطالبة في المدرسة والجامعة لا تفكر إلا بعواطفها ، والوسائل التي تتجاوز مع هذه العاطفة ، إن أكثر من ستين بالمئة من الطالبات سقطن في الامتحانات ، وتعود أسباب الفشل إلى أنهن يفكرن في الجنس أكثر من دروسهن وحتى مستقبلهن) وهذا هو السر في قوله عليه الصلاة والسلام - فيما رواه الترمذي - : " ما خلا رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما " .

وهذا معنى قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء : ١٦] .

تلكم - يا شباب - أميز الأخطاء والمفاسد التي تنجم عن الانسياق وراء المظاهر الأجنبية ، والانخراط في بوتقة التقليد الأعمى . . . وهي بجملتها كافية أن تقوض صرح الكيان الإسلامي ، وتدكّ بنيانه من القواعد ..

ومن الأمور التي يجب أن تدركوها جيداً أن المخططات التي تتخذ في أوكار الصهيونية ، والماسونية ، والصليبية ، والشيعوية . . كلها تستهدف إفساد المجتمعات الإسلامية عن طريق الخمر ، والجنس ، وإطلاق عنان الغرائز والشهوات ، والجري وراء المظاهر ، والتقليد العمى .. والمرأة - عند هؤلاء - هي أول الأهداف في هذه الدعوة الإباحية ، والميدان الماكر ، فهي العنصر الضعيف العاطفي

الذي ينساق وراء الدعاية والفتنة بلا روية ولا تفكير ، وهي ذات الفعالية الكبيرة ، والتأثير المباشر في إفساد الأخلاق . .

- يقول كبير من كبراء الماسونية الفجرة : (يجب علينا أن نكسب المرأة ، فأني يوم مدت إلينا يدها ، فزنا بالحرام ، وتدد جيش المنتصرين للدين) .

- ويقول أحد أقطاب المستعمرين : (كأس وغانية ، تعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع ، فأغرقوها في حب المادة والشهوات) .

- ومما قاله القسّ " زويمر " في مؤتمر المبشرين الذي عقد في جبل الزيتون بالقدس : " إنكم أعددتكم نشأً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية ، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراد له الاستعمار ، لا يهتم بالعظام ، ويحب الراحة والكسل ، ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات ، فإذا تعلم فللشهوات ، وإذا جمع المال فللشهوات ، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات " .

- جاء في " بروتوكولات " حكماء صهيون ما يلي : " يجب أن نعمل لتنهيار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا ، إن " فرويد " منا ، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية ، وعندئذ تنهار أخلاقه . . "

ومن وراء هذه القوى المعادية ، والتخطيط المدمر . . اليهود ، فهم الذين ألوا على أنفسهم أن يتبنوا كل باطل من الآراء الفكرية في مجال ما وراء الطبيعة وفي مجال الأخلاق ، وفي مجال تحطيم القيم الدينية غير اليهودية . . ليفسدوا العالم في عقيدته وفكره وأخلاقه . . وليتمكنوا من وراء ذلك من قيادته ، واستعباده ، والسيطرة عليه . . ولقد أعلن اليهود في " بروتوكولاتهم " أنهم يعملون جاهدين لإفساد الضمائر البشرية عن طريق التشكيك في الأخلاق والعقائد ، ويعملون جاهدين لإفساد العقول عن طريق تزيف الحق ، وترويح الباطل ، ويتبنون شخصيات إبليسية مأكرة خبيثة تدعو إلى هدم العقيدة

الدينية تارة ، وهدم الأخلاق الفاضلة تارة أخرى . . ليفسدوا على الناس عقائدهم وضمائرهم وعقولهم . . .

إنهم يعلنون أنهم تبنا آراء " فرويد " الذي يفسر كل شيء في سلوك الإنسان عن طريق الغريزة الجنسية .

وإنهم تبنا آراء اليهودي " كارل ماركس " الذي أفسد على الكثيرين قلوبهم وضمائرهم وعقولهم ، وألغى الأديان ، وهاجم عقيدة الألوهية . ولما قيل لكارل ماركس: ما هو البديل عن عقيدة الألوهية ؟ قال : البديل هو المسرح ، أشغلوهم عن عقيدة الألوهية بالمسرح . .

وما أدراك ما المسرح في دعوته السافرة إلى محاربة الأخلاق والأديان !! .

وتبنا آراء " نيتشه " الذي ألغى الأخلاق ، وأباح لكل إنسان أن يفعل ما يؤدي إلى استمئاعه ، ولو كان القتل أو الدماء أو التخريب . .

وتبنا آراء " دارون " الذي أعلن عن نظرية التطور التي تقضها العلم وألقاها في سلة المهملات

(١)

بل وقد وصل الأمر باليهود أن رسموا لإفساد الإنسانية منهجاً أخذوا في تنفيذه عن طريق وسائل الإعلام ، ودور النشر ، وعن طريق المسرح والسينما ، والبرامج الإذاعية والتلفزيونية . . . وعن طريق كل عميل خائن ، وكاتب مأجور . . واستطاعوا بمكرهم وخبثهم أن يفسدوا الشعوب عن طريق الثقافات العامة ، والفنون ، والملاهي ، ودور الدعارة وأشباهاها . . كما أنهم استطاعوا بدهائهم وتلاعبهم أن يستولوا على كراسي علم النفس ، وعلم الاجتماع في جامعات أوروبا . وأمريكا . وفي أكثر جامعات الشرق . . وذلك ليفسدوا عن طريق هذين العلمين على الناس عقائدهم وأخلاقهم ، ولقد نفذوا مخططهم الخبيث . فاستولوا على ما يقرب من % ٩٠ من هذه الكراسي . . لتتم لهم القيادة الفكرية . والنفسية ، والفلسفية في العالم كله . .

(١) ارجع إلى كتابنا " شبهات وردود " ففيه الكفاية في الرد على نظرية دارون وبطلانها .

واليكم ما يقولون في البروتوكول التاسع : (وقد تمكنا من تضليل غير اليهود ، وإفسادهم خلقياً وحملهم على البلادة عن طريق تعليمهم المبادئ التي نعتبرها نحن باطلة على الرغم من إيجائنا بها) .

ويقولون أيضاً في البروتوكول الثالث عشر : (ولكي نبعد الجماهير عن الأمم غير اليهودية عن أن تكشف بأنفسها أي خط عمل جديد لنا . سنلهمها بأنواع شتى من الملاهي . والألعاب ، وهلم جرا . . وسرعان ما نبدأ الإعلان في الصحف داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتى من كل أنواع المشروعات ، كالفن ، والرياضة ، وما إليها؛ إن هذه المتع الجديدة ستلهمي ذهن الشعب حتماً عن المسائل التي سنختلف فيها معه ، وحالما يفقد الشعب تدريجياً نعمة التفكير المستقل بنفسه . . سيهدف جميعاً معنا، لسبب واحد ، هو أننا سنكون أعضاء المجتمع الوحيدين الذين يكونون أهلاً لتقديم خطوط تفكير جديدة ، وهذه الخطوط ستقدمها متوسلين بتسخير الآتنا وحدها، من أمثال الأشخاص الذين لا يستطيع الشك في تحالفهم معنا ؛ إن دور المثاليين المتحررين سينتهي حالما يعترف بحكومتنا . وسيؤدون لنا خدمة طيبة حين يحين ذلك الوقت) .

أعرقتم - يا شباب - ماذا يقرر دهاة اليهود في مخططاتهم ؟ .

أليسوا يقررون إفساد عقول الناس وأخلاقهم ؟

أليسوا يخططون في أن يشتغل الناس باللهو ، واللعب ، والشهوات ، والمرفهات . . . عن التفكير

السليم ، والعمل البناء . والإخلاص للوطن . . ؟

أليسوا يعملون ليل نهار في إفساد الأخلاق ، وزعزعة الدين ، والتجسس على الأمة لصالح

عدوها . والتأثير على ذوي السلطان والنفوذ لتحقيق مخطط اليهود داخل البلاد، وفي صميم الأمة ؟ .

أتعلمون - يا شباب - أن التخنفس في شبابنا ، والفجور في نساءنا ، وانتشار الخمر، والعهر ،

والقمار ، والميوعة . . في بلادنا ، هو من مخططات يهود ؟

أتعرفون أن الذين يجرون وراء الزنى ، والإلحاد ، والتخنفس ، والانحلال والشهوات من شبابنا

وشاباتنا ، ما هم في الحقيقة إلا منفذون من حيث يعلمون أو لا يعلمون مؤامرات يهود ؟

ألا فيعلم الشبان المخدوعون هذه الحقائق عن عدوهم !! .

ألا فيعلم الكهول ، والشيوخ والمربون ، وأرباب الفكر . . هذه المخططات عن حثالات الأمم من بقايا يهود !! ..

كيف يرتضي الشاب المسلم لنفسه أن يرتدي زياً غريباً عدا زي الإسلام ؟
كيف يسمح الشاب المسلم لنفسه أن يظهر في المجتمع بالمظهر الذي يدل على الخلاعة ، ويشير إلى الإنحلال ؟

كيف يكون الشاب مسلماً في مظهره ، وقد ارتدى ثياب المنحلين ، وأطال شعره ليكثر في المجتمع سواد الفاسقين ، والنبي ، صلى الله عليه وسلم يقول : " من تشبه بقوم فهو منهم " ؟
كيف يكون الشاب مسلماً وهو يحاكي كل زي رائج ، ويقلد كل موضة شائعة ؟ وهو يظن أنه يحسن صنعاً !! ..

أريد في مجال الحديث عن الخنافس والمتخفسين أن أرد على شبهة تنطلق من السنة بعض الجهلة الذين لا يعلمون .

وهذه الشبهة تلخص فيما يلي : ما دام الرسول صلى الله عليه وسلم أطال شعره حتى جاوز أذنيه فلماذا يستهجن أهل العلم والدعاة إلى الله منظر المتخفسين وأشكالهم ؟
أليس في تطويل الشعر اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ؟
أليس يقول عليه الصلاة والسلام : " إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم " .

لم هذا الاستنكار للمظهر ؟ لم هذا التشدد في الدين ؟

هذا مبلغهم من العلم . والله المستعان على ما يصفون . .

نقول لهؤلاء - والأسى يبلغ من نفوسنا كل مبلغ - :

إن حججكم واهية ، وكلامكم مردود عليكم من عدة وجوه :

١- في حالة ثبوت أن النبي صلى الله عليه وسلم أطال شعره ، كان لا يخرج به حاسراً إلى الناس ، وإنما كان يخرج بالعمامة التي هي تاج النبوة ، وشعار الإسلام .
ورحم الله من قال :

وجمعت حولك يا رسول صحابة بعمائم أزهى من التيجان

٢- التخنفس اليوم أصبح شعاراً للميوعة ، ورمزاً للانحلال . .

فهل يقول عاقل : إن الإسلام يرضى من شبابه أن يكثرُوا سواد المائعين ، وجماعات المنحلين ؟
والنبي صلى الله عليه وسلم يقول - فيما رواه أبو يعلى - : " من كثر سواد قوم فهو منهم " .
٣- أليس في ظاهرة التخنفس ، واسترسال الشعر إلى المنكبين . . تشبه فاضح بالنساء ؟ والله سبحانه لعن الرجال المتشبهين بالنساء !! . .

٤- كيف يرضى المسلم المتخنفس على نفسه أن ينتمى في تخنفسه إلى حشرة " الخنفساء " (١)
القدرة وأن يتشبه بها شكلاً وهيئة ، والله سبحانه يقول : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾ ؟
٥- لا يفهم من حديث " إن الله لا ينظر إلى صوركم . . أن الإسلام لا يهتم بالمظهر ، ولا يعتني بالهندام ، وإنما معنى الحديث أن هيئة الصلاح والتقوى لا تعتبر في ميزان الله إن كان قلب المتظاهر فاسداً ، وعمله مرائياً !! . .

٦- لو أن المظهر في الإسلام ليس له وزن أو اعتبار . . لجاز للمسلم أن يستبيح كشف العورات ، وتقليد الأجانب . . وأن يظهر في المجتمع بأي منظر خلاعي ، وهيئة انحلالية . . فهل يقول مسلم : إن كشف العورات جائز ، وتقليد الأجانب مباح ، وأفعال الخلاعة والانحلال حلال ، باعتبارها صوراً ومظهراً ؟! . . فبأي حديث بعد هذا يؤمنون ؟ وإلى أين بعد هذا البيان يذهبون .
- ألا فليذكر أولو الألباب !! . .

(١) جاء في القاموس : الخنفس والخنفساء دويبة سوداء أصغر من " الجعل " (الصرصور) كريمة الرانحة . ج: خنافس .

وفي سياق الكلام عن الخنافس والمتخفسين قد يعترضنا معترض آخر فيقول : إن أكثر الأزياء التي يظهر فيها الرجال المسلمون والنساء المسلمات اليوم كالبنطال ، وعقدة الرقبة ، والقميص . . وأزياء النساء المتنوعة وغيرها . . هي من تقليد أجنبي ، وأصل عربي . . فمعنى هذا أننا نوقع كثيراً من المسلمين اليوم في الحرج ، ونرميهم بالإثم ، والإسلام دين اليسر ، وشريعة الرحمة . .

فمن مبادئه : ﴿ ما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ .

ومن قواعده : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ .

نقول في الجواب على هذا الاعتراض !! . . نعم المسلمون ككل مسؤولون أمام الله عن كل ثغرة تفتح في الإسلام ، وعن كل تقصير وتواكل وإهمال . . فكما أنهم مسؤولون عن سكوتهم عن هذه الفواحش الظاهرة المنقشية في المجتمع المسلم اليوم ، كذلك مسؤولون عن ظاهرة موجة التقليد الأعمى التي سكت عنها الأوائل حتى وصلت إلينا ، وأصبحت أعرافاً اجتماعية في نظر الكثيرين .

ولا شك أن ظاهرة التقليد لأزياء الغرب لما بدأت تنقش في بلاد الإسلام شيئاً فشيئاً ، كان من الواجب على المسلمين وقتئذ - ولا سيما أرباب العلم والفكر منهم - أن يقاوموا هذه الظاهرة بشدة وحزم وقوة . . مهما كلفهم ذلك من ثمن ، وأن يدفنوها في مهدها حتى يعيدوا للمسلمين وجههم الأصيل ، وكيانهم المتميز . . ولكن لما سكت الأوائل سرت العدوى إلى الأواخر ، وأصبحت الأجيال فيما بعد تتوارث هذا التقليد حتى تفاقم الأمر ، واشتدت المصيبة وتفلت الزمام . . وأصبحت الأجيال الحاضرة تذوق وبال الميوعة والانحلال ، وتكوي بنار الفسوق والإباحية ، وتقلب في حمأة الضلال والكفر . .

فالجيل الحاضر ما هو في الحقيقة إلا صنيعة الجيل الماضي ، والجيل الماضي الذي أهمل وسكت ، وتواكل وقصر . . هو الذي يتحمل وزر^(١) الجيل الحاضر لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول - فيما

(١) قد يقول قائل : كيف يتحمل الجيل الماضي وزر الحاضر ، والله سبحانه يقول : " ولا تزر وازرة وزر أخرى " الجواب : علينا أن نميز بين أمرين من المسؤوليات :

الأول : مسؤولية الإنسان عن نفسه .

الثاني : مسؤولية الإنسان عن غيره .

فأية " ولا تزر وازرة وزر أخرى " مرتبطة بمسؤولية الإنسان عن نفسه وذلك بعد سن الرشد والبلوغ . أما الصنف الثاني من المسؤوليات فيدخل فيه مسؤولية رب الأسرة عن أهله وأولاده ، ومسؤولية الجيل الماضي عن الانحراف الذي يلحق الجيل بعده في حالة التقصير والإهمال ..

رواه مسلم - : " . . ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة " .

ولكن هل الجيل الحاضر بمنجاة من المسؤولية ؟ حتمًا .

الجواب : لا ، ولقد فصلنا الحديث عن واجب الشباب بشكل خاص . والمسلمين بشكل عام في مبحث " الجهاد سبيلنا " فارجع إليه تجد ما فيه الكفاية . .

وأنا شخصيًا أهيب بالشباب المسلم الآن أن يسعوا جهدهم في أن يتميزوا عن غيرهم في أزيائهم وملبسهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا ، وكل مظهر يظهر به ، وكل لباس يرتدونه يعرفون به إنهم مسلمون عليهم ألا يقصروا في ارتدائه وتنفيذه ، إلى أن يأتي اليوم الذي يحقق فيه المسلمون قيام الدولة الإسلامية ، فعندئذ يختار أهل الحل والعقد الزبي الموحد الذي يشير إليهم أينما ذهبوا ، ويدل عليهم أينما كانوا . . وعسى أن يكون قريبًا إن شاء الله .

* * *

أخيرًا عليكم - يا شباب - أن تفرقوا بين شيئين ، فيما يجوز أن نستفيدة من الأجنبي ، وفيما لا يجوز .

فالانتفاع بالمدينيات النافعة ، والعلوم المفيدة : كالطب ، والهندسة ، والفيزياء ، والكيمياء ، ومعدات الحرب ، وحقائق المادة ، وأسرار الذرة ، والاختراعات المادية الحديثة ، وغيرها ، كل هذا يجوز أخذه ، وتعلمه والاستفادة منه . . لكون هذه العلوم والوسائل تدخل في مفهوم قوله صلى الله عليه وسلم - فيما رواه الترمذي والعسكري - : " الحكمة ضالة كل حكيمة ؛ فإذا وجدها فهو أحق بها " .

وتدخل في عموم قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال : ٦١] .
أما تقليد السلوك ، والأخلاق والعادات والمظاهر الأجنبية والأزياء الغربية . . فلا شك في تحريمه . ووجوب الابتعاد عنه . .

لكون هذا التقليد الآثم يؤدي - كما سبق - إلى فقدان الذات وذويان الشخصية .

وهزيمة الروح ، ونكسة الفضيلة والأخلاق . .

وبعد ، فيا شباب :

نحن اليوم على مفترق الطرق ، وعالمنا الإسلامي تجتاحه تيارات من المبادئ والأفكار . والأخلاق ، والتصورات ، والعادات والتقاليد . . ولقد تأثر كثير من الشباب والشابات في مجتمعنا الإسلامي اليوم بركام هذه الموجة العاتية ، وبمظاهر هذه المدينة الآثمة . . فظنوا - وبعض الظن إثم - أن آية النهوض بالرقص الماجن ، وعلامة التقدم بالاختلاط الشائن ، ومقياس التجدد بالتقليد الأعمى ، ومظهر المدينة بالتخلف الرقيق . . حتى إن كثيراً من هؤلاء المائعين المتحللين اتهموا المتمسك بدينه ، والمتميز بمظهره . . بالتخلف والرجعية ، لأن الحق عند هؤلاء - كما يقول الأستاذ الطنطاوي : (هو ما جاء من هناك : من باريس ، ولندن ، وبرلين ، ونيويورك . . ولو كان الرقص ، والخلاعة ، والاختلاط في الجامعة ، والتكشيف في الملعب ، والعري على الساحل . . ، والباطل هو ما جاء من هنا : من الأزهر ، والأموي ، وهاتيك المدارس الشرقية ، والمساجد الإسلامية . . ولو كان الشرف ، والهدى ، والعفاف والطهر . .) .

بل نجد من هؤلاء المارقين المتقولين من يقول : إن شريعة الإسلام حققت أغراضها في العصور التاريخية السالفة ، فلم تعد تصلح لعصر الذرة ، والكهرباء ، والصاروخ . . . فعلى أن نطرح الإسلام جانباً . . . وعلينا أن نفصل الدين عن الدولة ، وعلينا أن نترك ما لله وما لقيصر لقيصر ، إن أردنا أن نسبق الأمم في مضمار المدنية والتقدم والعلم ! . . .

﴿ ذلك قولهم بأفواههم يظاهرون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ [التوبة :

. [٣٠

وهذه الظاهرة من الأقوال الكاذبة ، والتخرصات الآثمة إن دلت على شيء فإنما تدل على خيانتهم لدينهم ، وعمالتهم للأجنبي . . فما وجدوا الشرق سبيلاً لمطعن إلا أن يرددوا ما يمليه عليهم أسيادهم من ملاحدة الشرق أو مستعمري الغرب ترديد الببغاوات، ويحاكونهم فيما يتقولون محاكاة القردة دون أن يكون للمحاكمات العقلية، والتأملات المنطقية في نفوسهم أدنى نصيب ، وصدق رسول الإسلام القائل - فيما رواه ابن جرير - : " لتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، وباعاً بباع، حتى لو أن أحداً من هؤلاء دخل جُحرَ ضب لدخلتموه " .

أيا الشباب :

لاشك أن مجتمعكم مريض وأن أمتكم تتقاذفها الأهواء . وتتجاذبها المغريات . . ولاشك أنها بأمس الحاجة إلى من ينشلها إلى المصحات والمشافي ، ومن يأخذ بيدها إلى سفينة النجاة ، وشاطئ السلام . .

وإن كان لهذه الأمة من أمل إنقاذ ، ورجاء هداية وإصلاح . . فأنتم - يا شباب - أملها ورجاؤها ، وسر نهضتها وبقائها . .

فأعطوا لغيركم القدوة الصالحة في كل شيء : في العبادة ، في المعاملة ، في الأخلاق ، في المظهر ، في الثياب ، في الحركة ، في التضحية ، في نيل الشهادة ، في كل ما يميزكم ، ويشير إليكم ، ويدل عليكم . . عسى أن يتأسى الناس بكم ، وينقادوا لدعوتكم ، ويكونوا أعضاء في صف جماعتكم . . ولبنات في صرح الكيان الإسلامي الذي له تعملون ، وفي سبيله تجاهدون !! . . .

وفي الختام أذكركم يا شباب :

أنكم لا تصلون إلى النصر إلا بالإيمان والتقوى . ومراقبة الله سبحانه في السر والعلانية ، وتصحيح النيات ، والاحتراز من المعاصي . والترفع عن الذنوب ، والاستعلاء على شهوة النفس ، وفتنة الحياة الدنيا . . .

فإن اتصرتم على أنفسكم . وترفعتم عن أضرار الشهوات والملذات ، وجعلتم الله سبحانه غاية لكم ، وشرعه الحنيف منهاجاً لحياتكم وحكماً لخصوماتكم ، وميزاناً لأعمالكم .. فعندئذ تضمنون - بإذن الله - النصر المؤزر ، والفتح المبين ، والغلبة على أعداء الله والدين !! ..

تذكر كتب التاريخ أنه عندما استبطأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح مصر ، كتب إلى عمرو بن العاص - وكان قائداً عاماً على الجيش الإسلامي- يقول : (أما بعد: فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر . تقاتلونهم منذ سنين . وما ذاك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم وإن الله تبارك تعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق نياتهم) .

وكلكم تعلمون - يا شباب - نص الوصية التي أرسلها عمر إلى قائده سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنهما - والتي جاء فيها : (أما بعد : فإني أوصيك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيذة في الحرب ، وأمرك ومن معك من الأجناد أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا نحن وإياهم في المعصية كان لهم فضل علينا في القوة ، وإلا نصر عليهم بفضلنا لم تغلبهم بقوتنا ...) .

فهذا هو طريقكم إلى النصر - يا شباب - وهذا هو - والله - سبيل العزة لأمتكم وبلادكم ، وما هذه الهزائم والنكسات التي منيت بها أمتنا في حربها مع اليهود إلا لبعدها عن الله ، وتكرها للإسلام ، وانغماسها في المعاصي والذنوب والشهوات ، وهزيمة الروح والخلق التي مُني بها شبابنا وشاباتنا في هذا العصر المادي الذي تقاوم شره . واستفحل فجوره ومجونه ..

وصدق الخليفة العادل عمر رضي الله عنه حين قال : " نحن قوم أعزنا الله بالإسلام . فمهما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله " رواه الحاكم .

ورحم الله شاعر الإسلام محمد إقبال حين قال :

كل من أهمل ذاتيته فهو أولى الناس طُرّاً بالفناء

لن يرى في الدهر شخصيته كل من قلّد عيش الغرباء

يا شباب : تستمد أمتكم قوتها الكبرى منكم ، فاستمدوا قوتكم من العزيز الجبار . . تطلعوا إلى السماء . . سيروا مع ركب سيد الأنبياء . . . شيدوا بسواعدكم الفتية صرح الإسلام العتيد . . أعيّدوا بعزائمكم الفتية مجد الجدود العريض . . ضعوا نصب أعينكم إحدى الحسينين : إما نصراً لتعيشوا أعزاء ، وإما قتلاً تموتوا شهداء .

ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

ردّدوا على أسمع الزمن أناشيد الكرامة والنصر ، وأغاني التضحية والفداء :

ستعلم أمتنا أننا ركبنا الخطوب هيأماً بها

فإن نحن فزنا فيا طالما تذلّ الصعاب لطلابها

وإن نلق حتفاً فقد قدمت كؤوس المنايا لشرابها

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردّون إلى عالم الغيب والشهادة

فبينكم بما كنتم تعملون ﴾ [التوبة : ١٠٥] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

والسلام عليكم ورحمة الله